الجمهوريَّة الجزائرية الدِّيمقراطية الشَّعبية
وزارة التَّعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي أحمد بن يحي
الونشريسي– تيسمسيلت –
معهد الآداب واللُّغات
قسم اللُّغة والأدب العربي

مذكِّرة تخرُّج مقدَّمة لنيل شهادة الماستر في اللُّغة والأدب العربي موسومة بـــ :

الحجاج في القرآن الكريم
-آيات من القصص القرآني- أنموذجا

إعداد الطَّالبتين:
*رويشد خضرة
*العيمش ميمونة

إشراف الأستاذ:
*غربي بكَّاي

الموسم الجامعي:
1436 -1437هـ/2015-2016م

دعـــــــاء

" اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي أَوْلى بِي مِنِّي فَأَعِنِّي يَامُعِينُ "

عن معاذ بن جبل قال:

{ تَعَلَّمُوا العِلْمَ فَإِنَّ تَعلُّمهُ لله خَشْية، وَطَلَبه عِبادَة، وَمُذاكَرتِهَ تسْبِيحٌ، والبَحثُ عَنْهُ جِهَادٌ وَتعلِيمُهُ لِمَنْ لا يَعلمهُ صَدَقَة}

" شكر وعرفان "

نحمد الله حمداً كثيرًا طيِّبًا مباركًا يُوافي نعمه، وعظمة جلاله، ونصلِّي ونسلِّم على خاتم الأنبياء والمرسلين –محمد صل الله عليه وسلم– وبعد –

فإنَّنا لايسعنا – وقد وفَّقنا الله في إتمام هذا العمل المتواضع – وله الحمد –سبحانه وتعالى على كل ماحَصَّلْنَاهُ .

إنَّ واجبَ الوفاء والعرفان بالجميل يدفعنا إلى أن نتقدم بشكرنا الجزيل إلى أستاذنا الفاضل الدُّكتور :"غربي بكَّاي"، الَّذي أَوْلاَنَا عناية خاصَّة، وتفضَّل بالإشرافِ علينا في مراحل إنجاز هذا البحث، فكان نعم العون بعد الله –سبحانه وتعالى– الَّذي كان بملاحظاته ونصحه عظيم الأثر في أنفسنَا وتشجيعًا في إتمام هذا العمل، فهو الَّذي قطفنَا من رَوْضِ علمه، وتنسَّمنَا من عَبَقِ سيرته وحظينَا منه بالقراءة العلميَّة الجادَّة، فكان لنَا نعم القدوة ونعم الموجِّه، فبارك الله له في علمه وصحَّته وأمدَّه بالعمر المديد ليظل كما عهدناه، من خدمة العلم والدُّعاة إلى نبل الأخلاق، إلى براعمه الصَّغيرة و...

كما لايفوتنا شكر الأستاذ الَّذي كان مساندًا لنا طوال السَّنة " صانع أحمد"جزاه الله خير الجزاء إلى الإخوة، محمد، الحاج...إلى الأخوات، فاطيمة، ميمونة ....، وإلى الأخت مدَّاس أم الخير، إلى الزُّملاء.

عابد دروش، رشيد ملياني، حلاس بوشنت، فنسأل المولى–عزَّ وجلَّ– أن يوفقهم إلى مبتغاهم .

ولاننسى جميع أساتذة كليَّة الآداب واللُّغات المحترمين على الجهد المبذول الَّذي قدموه لنا، وإلى كل مَنْ ساهم مِنْ قريب أو بعيد ليرى هذا البحث النور .

إليهم جميعا نقدِّم هذا الشُّكر الجزيل

" إهـــــــــداء "

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾.

إقرارًا واعترافًا بالجميل نتقدَّم بالشُّكر والعرفان للَّذي نِعَمُهُ لا تُعدُّ ولاتحصى، فإنَّ القلب يخرُّ له ساجدًا المولى –جلَّ وعلاَ– أوَّلا ممهِّد السُّبل وموفِّق المساعي –وبعد–

نهدي ثمرة هذا الجهد إلى من اشتاقت له القلوب إلى معلِّم الأمَّة –محمد صلى الله عليه مسلم وآله وصحبه ومن وَالاهْ.

إلى مستودع الحنان ...

إلى من عزَّ فينَا حبَّ الخير ...

إلى والدينَا الكريمين ...

إلى كل من تعلَّمنا منه ولو النَّزر اليسير ...

إلى جميع أحبَّتنَا من قريب، ومعلِّم، وصاحب، وجار إلينا...

إلى سائر المسلمين في الأرض، عسى أن تفوتنَا من بعضهم دعوة صالحة قد يحجب الله بها عنَّا غاشية العذاب أو يجزينا بها الثَّواب...

كما لاننسى خالص شكرنَا، وفائق امتناننَا إلى الَّذي حبانا باهتمامه، إلى من غمرنا بعلمه، وكان له الأثر البالغ في ظهور هذا البحث، نرجوا من المولى – عزَّ وجلَّ– أن يلهمه صبرًا علينا، لأنَّنا كنَّا خفيفتين الأقدام إليه، إلى الَّذي كان له الفضل بعد الله تعالى، أستاذنا المشرف، الدُّكتور:" غربي بكَّاي"، فما عسانَا أن نقول، فيه، كما قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– :«مَنْ صَنَعَ مَعْروفاً فكَافِئُوهُ، فإنْ لم تجِدوا مَا تُكَافِئوهُ، فَادعوا لَهُ حتَّى تَروا أَنَّكُمْ كَافَأْتُمُوهُ».

وإلى كل ناشد حكمة أو طالب علم....

خضرة.

ميمونة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمــة

مقدِّمــة:

الحمد لله الدَّاعي إلى بابه الموفِّق مَن شاء لصوابه، الَّذي أكرمنَا بالقرآن وخصَّنا بأشرف لسان، والصَّلاة والسَّلام على خير من نطق بالضَّاد وأفضل العباد، نبيُّنا محمد عليه أفضل الصَّلاة وأزكى التَّسليم- أمَّا بعد-:

لقد انبثقت نظريَّة الحجاج في اللُّغة من داخل نظريَّة الأفعال اللُّغويَّة الَّتي وضع أسُسَها "أوستين"، ومن حُسنِ حظِّ اللُّغة العربيَّة أنَّها ارتبطت بمعجزة زادت في كمالها و رفعت قيمتها و جعلت منها لسان أهل الجنة، إنه القرآن الكريم، وهذا الارتباط أتاح لها فرصة طيِّبة لم تتح قط للغة أخرى في أن تنمو وتتطور وتشقَّ طريقها إلى المستقبل، وهي ثابتة الخُطَى، رابطة الجَأْشِ لاتحفل بما يعترض طريقها من صخور وأشواك تصدَّت لها عواصف العاميَّة المبتذلة في كثرا من السياقات، ولهجات السُّوقة التي لا تصلح البتة، وصيحات الجهلة الذين يدّعون قصور اللغة عن مواكبة الجديد، ودُعَاة الهدم باسم التَّطور والتَّجديد و تبنّي لغات أخرى تغني عن دراسة اللغة العربية حسب رأيهم.

وهذا الارتباط أيضًا حمل الرَّعيل الأوَّل من علماء العرب، على أن يصونوا هذه اللُّغة من التَّحريفات الَّتي تهدم بناءهَا، والأخطاء الَّتي تحطِّم كيانهَا، ومن الحقِّ أن نقول في هذا المقام: إنَّ أوَّل إشارة للعمل من أجل الحفاظ على اللُّغة وسلامة تراكيبهَا، قُدِّرت من رسول الله-صلى الله عليه وسلم- حينما سمع رجلًا قرأ فلحن فقال:«أَرْشِدُوا أَخَاكُمْ»، وفي رواية أخرى ساقها "ابن جني"في "الخصائص"«أَرْشِدُوا أَخَاكُمْ فَقَدْ ظَلَّ» وخوفًا من تفشِّي اللَّحن بَدَأَ "أبو الأسود الدُّؤلي"، حينمَا سمع قارئًا يلحن في آيات من كتاب الله بوضع الأسس الأولى لنشأة النَّحو العربي المتمثِّلة في تنقيط المصحف تنقيط إعراب، ليواصل مسيرة حماية اللغة رجال عاهدوا الله على الدفاع عن أشرف اللغات، فسعوا إلى دراستها و تدريسها و تعلّمها وتعلميها، و حفظها و تحفظيها، نذكر سيبويه و الجاحظ و الفراء و الكسائي و غيرهم كثر.

والحجاج آلية من الآليات الَّتي تعتمد عليها اللُّغة في كافة مجالات الحياة في: السِّياسة و الدِّين والاجتماع و التعليم...، فهو عبارة عن براهين وأدلَّة مؤديَّة إلى نتيجة معينة، وهو تمثيل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب أو متواليات من الأقوال، بعضهَا بمثابة الحجج اللُّغويَّة، وبعضها الآخر بمثابة النَّتائج الَّتي تستنتج منها و تأخذ أحكامها ممّا توصلت إليه، إذًا فكَونُ اللُّغة لها وظيفة حجاجيَّة (تواصلية) يعني أنَّ التَّسلسلات الخطابيَّة محدَّدة لابواسطة الوقائع المعبَّر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنَّها محدَّدة أيضًا وأساسًا بواسطة بنية وتركيب هذه الأقوال نفسهَا، وبواسطة المواد اللُّغويَّة الَّتي تمَّ توظيفهَا

وتشغيلهَا، إذ تهتم بالمتكلِّم ومقاصده بعدِّه (الحجاج) محرِّكًا لعمليَّة التَّواصل فتُراعي(اللُّغة) حال السَّامع أثناء الخطاب،كما تهتم بالظُّروف والأحوال الخارجيَّة المحيطة بالعمليَّة التَّواصليَّة ضمانًا لتحقيق التَّبليغ من جهة ولتستغلها (اللُّغة) في الوصول إلى غرض المتكلِّم، وقصده من كلامه من جهة أخرى.

وموضوعنا هذا ارتبط بالدِّراسات القرآنيَّة الَّتي اهتم بها العلماء قديمًا وحديثًا، ومع ذلك فإنَّنا كلَّما أخذنَا هذا النَّص ونظرنا إليه من زاوية مختلفة، خرجنا بنتائج مفيدة، ومن خلال اعتمادنا على جملة من أئمة التفسير لبعض من آياته المحكمة، اكتشفنا أنَّه على قدر عظيم، فهو من إعجاز كتاب الله المنزَّل رحمة للعالمين، إذ عرضنَا في هذا العمل نماذج من القَصَصِ القرآني العظيمة على سبيل التمثيل لا الحصر على اعتبار أنها أكثر و أعظم من أن يحتويها عملنا، و الَّتي احتوت على الحجاج والجدال.

والحجاج يعتبر دعامة لاغنى عنها لمبلِّغ أيِّ رسالة، نظرًا لما له من إمتاع وتنمية للخيال، و زيادة في المعرفة، وإذكاء للعقل، و راحة للنفس الّتي تدرك به ما كان مبهما لها، وغيرهَا من الأمور، نجد في القَصَصِ القرآني هدفًا أسمى، وغاية أرقى، فهو قصص هادف وتربوي في الدَّرجة الأولى، فمن مظاهر إعجازه البياني "الحجاج" الَّذي حَضِيَ بأهمية كبرى من قبل العلماء والمفسرين، "فالحجاج" من بين القضايا الشَّائعة والأكثر تداولًا واتِّساعًا لتعدُّد وتنوُّع آلياته، وتوظيف أساليبه في ثنايَا النَّص القرآني، إلى جانب ذلك نجد أبحاثا ودراسات أخرى تتنافس في دراسته" كنظريَّة أفعال الكلام"، والحجاج الذي كان محل اهتمامنا.

ونظرًا لهذه الأهمية جاء موضوع بحثنا الموسوم بـ : "الحجاج في القرآن الكريم "-آيات من القَصَصِ القرآني- أنموذجًا. و لعل من الأسباب الَّتي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع و الاهتمام به ، ارتباطه بالقرآن العظيم أرفع و أجل كتاب، ثمّ حب الاكتشاف والتَّطلع على عِبَر القصص القرآني والأخذ بها و منها، وسرِّ الإعجاز فيه.

ولكي ينال بحثنا هذا نصيبًا من الإثراء والتَّوسع، طرحنا جملة من التَّساؤلات الأساسيَّة في هذا البحث: ماهي الإرهاصات الأولى لنظريَّة الحجاج عند كل من علماء العرب والغرب قديمًا وحديثًا ؟ ماهو الحجاج؟ ومادوره في حياتنا اليوميَّة ؟على ماذا يقوم الحجاج؟ وماهي أصنافه وطرقه، وعلى ماذا يبنى أسلوب الحجاج ؟وماهي آليات الحجاج وروابطه في القَصَصِ القرآني ؟.

وقد اقتضت طبيعة بحثنا هذا أن يكون تقسيمه إلى مقدمة ومدخل، وفصلين ،كل فصل يحوي مباحث وخاتمة، فالمدخل عنوناه بـ: "الإرهاصات الأوليَّة لنظريَّة الحجاج"، تندرج تحته أربعة عناصر، وقد كان حديثنا فيه عن مقومات الخطاب الَّتي كانت مبنيَّة على مجموعة من الدَّعائم الثَّابتة، الَّتي يستقرأ أصولها

من التُّراث اليوناني القديم، ومن التُّراث البلاغي العربي على السَّواء، وهي البصر بالحجَّة لحسن التَّدبير، بين الحُجَّة وسياق الاحتجاج في صورتها المثلى، حين يسد المتكلِّم السَّبيل على السَّامع، فلا يجد منفذًا إلى استضعاف الحُجَّة والخروج عن دائرة فعلها، وترتيب أقسام الكلام حينما يكون للاستمالة، وتهيئة الأسماع وحينما يكون للاستدلال والبرهان، عندما يكون نتيجة الخطاب وهدفه وغايته الَّتي يتوخاها.

أمَّا **الفصل الأول**، فكان عنوانه: "الحجاج مقاربة نظريَّة"، اندرجت بين طياته أربعة مباحث، **مبحث أول**: تمثل في الحجاج لغة واصطلاحًا، **ومبحث ثان**: خصائص الحجاج وأهميته وأدواته، **مبحث وثالث**: آليات الحجاج، **أما المبحث الرابع** ففيه طرقه وأصنافه، أمَّا **الفصل الثاني**، فكان عنوانه: "نماذج تطبيقيَّة لآليات الحجاج وروابطه في القرآن الكريم" فعملنا في هذا الجانب على استخراج آليات الحجاج وروابطه من الآيات القصصيَّة، فقد كان القسم الأكبر من الخطاب القرآني هو في الحقيقة حجاج وجدال، يكون في أحيان كثيرة عبارة عن حوار، وفي بعض المنعطفات السِّياقية يكون حجاجًا، ويكفي للتَّدليل على ذلك تتبُّع مواد بعض الأفعال الَّتي تشترك في حقل دلالي واحد مع الحجاج، مثل: مادة الفعل "قال" فهي في أكثر المواد ترددًا في نصِّ القرآن، وقد وردت بكلِّ الصِّيغ والأوزان الممكنة "قال، يقول، يقولون، قالوا، تقول يقولان، أقول، قل،..."، أو مثل: مادة الحوار، أو الجدل بكل تصرفاتهما .

و ليصلّ بحثنا إلى غاياته المرجو تحقيقها من اتبعنا فيه المنهج الوصفي التَّحليلي، الَّذي وجدناه مناسبًا لموضوعنَا في وصف المادة اللُّغويَّة و المعارف المتنوعة في الجزء النَّظري، وتحليل هذه المسألة والتَّعمُّق فيها واكتشاف آلياتها و ربطها بالقصص القرآني في الفصل التَّطبيقي، معتمدين على جملة من المراجع التي أفادتنا كثيرا في هذا العمل لعل أهمها "نظريات الحجاج في التَّقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" لحمادي صمود، "الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبيَّة" ، لعبد الله صولة، "الحجاج في الشِّعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثَّاني للهجرة"، بنيته وأساليبه، لسامية الدُّريدي، و"بلاغة الخطاب الإقناعي" لمحمد العمري.

ولايخلو أيِّ بحث أكاديمي من صعوبات وعراقيل قد تعيق الباحث للوصول إلى مراده،و تثبّط جهده لما يسعى إليه، إذ نذكر خاصة كثرة المادة العلميَّة في موضوع الحجاج وعدم التَّحكم فيها خاصة في تداخلها مع بعض النظريات و التخصصات كالأسلوبية، غير أنَّ شغفنَا الكبير للعمل على هذا الموضوع، وحبّ الاطِّلاع عليه، و محاولة أن يكون جهدنا حلقة ذات فائدة لكل قارئ و باحث و مهتمّ كان سببًا في تذليل كثير من الصُّعوبات .

وفي الأخير لانزعم أنَّا قد بلغنا الكمال في هذه الدِّراسة، بل يبقى المجال مفتوحًا لدارسين آخرين، وإن كان لنا الفضل في بعض ما قدمنا، فيعود إلى الجهد المبذول في هذا المضمار، وكذلك الدُّكتور"**غَربي بَكَّاي**" الَّذي كان لنا الشَّرف العظيم، أن يقبل متابعة عملنا المتواضع للمرة الثَّانية من الإشراف، فله أسمى عبارات العرفان والتَّقدير والإحترام، على توجيهاته ونصائحه السَّديدة، حفظه الله وأطال في عمره وأمده بالصِّحة ومزيدًا من العلم والتَّواضع، وإلى كل من مدَّ لنا يد العون سواء من قريب أو من بعيد .

الطَّالبتَان:

خضرة رويشد.

ميمونة العيمش.

تيسمسيلت في :.....

المدخل :

الإرهاصات الأوَّليَّة لنظريَّة الحجاج .

أ – نماذج للحجاج عند علماء الغرب قديمًا .

1– الحجاج عن السُّوفسطائيين .

2– الحجاج عند أفلاطون.

3– أرسطوا والحجاج.

ب– الحجاج في الفكر الألسني الغربي الحديث .

1 – الججاج عند بير لمان.

2– الحجاج عند ديكروا أزفالد.

ج– الحجاج في الفكر العربي القديم .

1– الحجاج عند ابن وهب.

2– الحجاج عند القرطاجني.

3– الحجاج عند الجاحظ.

د– الحجاج في الفكر العربي الحديث .

1– **الحجاج عند طه عبد الرَّحمن .**

2– الحجاج عند محمد العمري .

و– قبسات حجاجية في القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبوية والنَّحو العربي .

1– الحجاج في القرآن الكريم .

2 – الحجاج في الحديث الشَّريف (السُّنَّة النَّبويَّة).

3 – الحجاج في النَّحو العربي .

*** مكانة الحجاج التاريخية عند بعض علماء الغرب قديمًا وحديثًا :**

عرفت الأمم والشُّعوب قديمًا وحديثًا الحجاج والبرهنة في مواطن الكلام المختلفة كالمناظرات والمحاورات بمختلف أنواعها الثَّقافيَّة، والاجتماعيَّة، والسِّياسيَّة، وكثيرًا ما ورد في الثَّقافتين الغربيَّة والعربيَّة بتسميات مختلفة كمعنى الجدل، التَّناظر، الإقناع و الحوار.... انطلاقًا من مؤلفات اليونان الى أهم ما ورد عند العرب.

حيث كثر الحديث اليوم عن الحجاج ودوره النَّاجع في مقاربة مختلف الخطابات العلميَّة والإنسانيَّة والثَّقافية وقد تناولته بالدِّراسة والتَّحليل والتَّقويم والمعالجة أبحاث وكتب ومقالات من الصَّعب حصرها؛ إذ أصبح موضوعا لافتًا للانتباه بسبب حضوره الكلِّي، أوالجزئي، أو الضِّمني، في مجموعة من الخطابات، سواء أكانت فلسفيَّة، أم أخلاقيَّة، أم قضائيَّة، أم أدبيَّة، أم سياسيَّة...

ويعني هذا أنَّ عصرنا هو عصر الحجاج والجدال، ولمعرفة مدى أهمية وحضوره الدَّائم، لا بدَّ لنا أن نشير إلى محطاته التَّاريخية الغربية والعربية قديمًا وحديثًا.

أ) – نماذج للحجاج عند علماء الغرب قديمًا :

حين نتفحَّص تلك الجهود السَّابقة، نجد أنَّ الفلاسفة اليُّونانيين أمثال "سقراط" وتلميذه "أفلاطون" ومن بعدهما" أرسطو" و"السُّوفسطائيين" قدَّموا بعض الأساليب الحجاجيَّة الدَّامغة الَّتي اشتهروا بها وأصبحت من الرَّكائز الأساسيَّة في عمليات الحجاج من بعدهم، وسوف نقوم بعرض ما قدمه هؤلاء الفلاسفة.

1– الحجاج عند السُّوفاسطائيين :

يعد السُّوفساطائيون(*) حركة فلسفيَّة لعبوا دورًا كبيرًا في تطوير البلاغة، والحياة الفكريَّة في اليونان عامَّة، حيث غيَّروا مفهوم مجال الاهتمام، من اهتمامهم بالطَّبيعة إلى اهتمامهم بالإنسان.

وقد عبَّروا عن هذا التَّغيير بتركيزهم الكبير على اللُّغة، والبلاغة، والخطابة ويعتبرون أوَّل الواضعيين لعلم الخطابة.

---

* – تيار فكري ظهر في العالم الإغريقي وَقَوِيَ بأثينا في القرن 5م، والسُّوفيستاس(sofiphistés)، كانت في الأصل لقب تقديري تعني: الرِّيطوريقا كما ترجمها العرب القدامى، هي فن الإقناع عن طريق الخطاب وأنَّ الوظيفة الإقناعيَّة هي وظيفتها الأولى والأساسيَّة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبيَّة، عبد الله، جامعة منوبة، تونس، دط، 2001 م، ج1، ص21.

وقد عبَّر عنها جرجياس (gorgais) بقوله: «الخطابه هي الفن الحقيقي، والأسلوب الصَّحيح في التَّفكير، كما أنَّها الخير الأعلى حقًا، تمنح من يحذقها الحريَّة في نفسه، والسَّيطرة على النَّاس في وطنه»[1].

وقد نبعت شهرتهم الخطابيَّة البلاغيَّة من الخاصِّيَّة المغالطيَّة في القول، حيث أنَّهم كانوا يستعملون في الغالب سلطة القول في فضاءات السُّلطة بالمدينة.

أي؛ أنَّ الكلام عندهم أصبح فتَّانًا ومخادعًا، بعد أن كان موحِّدا للحقيقة، مقدمًا للمعرفة وكذلك أداة ووسيلة إقناع، واقتناع تحملك على الاعتقاد والظَّنِّ، بشتى الوسائل من دون أن تعير اهتمامًا للحقِّ والباطل.

حيث وقف ضدَّهم كل من "أرسطو وأفلاطون" لكن صراع "أفلاطون" كان أعنف، وألصق بهم صفة قدحيَّة خطيرة حتَّى صار اسم "السُّوفسطائيين" مرادفًا للنقاش الفارغ الَّذي لا طائل من ورائه.

كما اهتموا «ببنية كل من الكلمة والجملة وبحثوا في السُّبل الممكنة الَّتي بها يتحقَّق الإقناع، وتغيير مواقف الآخرين»[2].

ومن خلال هذا القول نجد أنَّهم اهتموا إلى حد كبير ببلاغة القول، فتوصَّلوا إلى أنَّ أساليب الحجاج تجيء قصد الإقناع، والإذعان وكان ذلك سببًا في تصدي" أفلاطون"لهم وينعتهم بأدعياء العلم والمعرفة، وأنَّ ما يقدمونه لا يعدو كونه نتائج ظنِّيَّة قوامها اللَّذة والهوى، وهذه أمور ومفاهيم مضرَّة بالقيم والأخلاق والإيمان.

كما استندت ممارستهم للحجاج أيضًا على تصوُّرهم للمنافع، فهم لا يعلِّقوه بالخير، بل علَّقوه باللَّذة فحسب "أفلاطون" لذَّة الاستهواء بالنِّسبة للمقول إليه ولذَّة النَّفع بالنِّسبة للقائل.

ومن هذا الصَّدد يتنزَّل مذهب "كوراكس"(corax)، «وهو استغلال محتمل وتوجيه الحجاج بحسب النَّفع الَّذي يقصد إليه المحاج» [3].

---

[1] – الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، الزاوي باغورة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م، ص12،13.

[2] –إستراتجية الخطاب الحجاجي، دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربية بلقاسم دفة، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة العربية والأدب الجزائري، جامعة بسكرة الجزائر، ص 15.

[3] – فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج والتقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس 1998م، نقلا عن هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص 60.

ويتَّضح لنا أنَّ "كوراكس" يربط الحجاج بالمنفعة، وذلك بناء على حُجَّة المحاج وما تحمله من آليات مقنعة للمتلقي، قصد تحقيق التَّواصل، باعتبار تغيير نظرة أو رأي خاطئ إلى الصَّواب، وبالتَّالي تصبح الحُجَّة ذات منفعة ،وقد أضحت هذه الممارسة منهجًا متبعًا في الحجاج.

إذ أنَّهم كانو يمارسون الحجاج للحصول على سلطة المجتمع، ويعلِّمون لشَّباب الخطابة ويهيِّؤونهم بذلك إلى السُّلطة ويتقاضون مالًا وفيرًا.

فالسُّوفسطائي كان يشتغل بالتَّعليم، كما قال:" بروتاغوراس" «أوافق على أنَّني"سوفسطائي" ووظيفتي تعليم النَّاس» [1].

أي؛ أنَّ غايتهم تعليم طلبتهم البلاغة، والإلقاء والقدرة على الجدل، حتَّى يستطيعوا أن يواجهوا كل مسألة، إمَّا بفكرة صحيحة أو التَّلاعب بالألفاظ لإفحام السَّائل أي؛ التَّحكم في الفكرة سواء بالحق أو بالباطل، وهذا بهدف نشر نوع من ممارسة الحجاج وتطويره لوجه الاطِّلاع، ويظهر ذلك من خلال التَّلاعب بالألفاظ "كالإستعارات والكنايات الجذَّابة"، بغية خداع المنطق وتمويه الحقيقة، لهذا سمي اللَّعب بالألفاظ والتَّهريج بالحجج سفسطة.

وبناء على ما سبق لدى "السُّوفسطائيين" يتبيَّن أنَّ الحجاج عندهم مغالطة وإيهام وتلاعب بالألفاظ وهروبًا من الحقيقة، باعتمادهم على حجج مقنعة ومزيَّفة، ومزخرفة، ومنمَّقة، وهذا بهدف التَّأثير، وإذعان وإقناع المتلقي.

2- الحجاج عند أفلاطون:

لقد انطلق "أفلاطون" في ممارسة الحجاج، من خلال الصِّراع الَّذي نشأ بينه وبين "السُّوفسطائيين" ففكر" أفلاطون" في العمليَّة الحجاجيَّة انطلاقًا من المحاورات الَّتي أقامها معهم.

فقد جعل "بولوس"(polos) أنموذجًا اُستُحضر في المحاورة للشَّاب الَّذي يعده "السُّوفسطائيون" لإنتاج القول في المدينة، يستعمل في مجادلته "سقراط" قولًا خطبيًا وجعل "سقراط" يلاحظ له ذلك، في كلِّ مرة ويدعوه إلى استعمال ما يقتضيه الجدل من جنس قولي مخصوص» [2].

---

[1] - أبحاث في اللغة العربية والأدب الجزائري، بلقاسم دفة، مجلة المخب، ص 61.

[2]- ينظر: فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم حمادي صمود، ص 56 .

وقال" سقراط" في سياق آخر من المحاورة نفسها: عن بعض الشِّعر الَّذي كان يُنتج "بأثينا"، " ألَا ترى أنَّ الشَّاعر يقوم بمهمَّة الخطيب فالقول الخطبي "السُّوفسطائي" لا ينحصر حسب "أفلاطون" في جنس الخطابة، وإنَّما هو قول زئبقي يمكن له أن يتسلل لتحرر الخطابة من شرط تحديد موضوع إلى فضاءات أجناس أخرى»[1].

أي؛ أنَّ الخطابة عند "أفلاطون" قول إثباتي غير جدلي لا يقوم على المساءلة، أمَّا الخطابة "السُّوفسطائية" حسب" أفلاطون" حجاج استهواء (ذاتي انطباعي) من خلال محاورات "قُرجياس" الَّتي كان مفادها الخطابة ووظيفتها.

فقد فحص موضوع الخطابة (علم/ظن)، وذكر أنَّ الإقناع نوعان: " إقناع يعتمد على العلم" "وإقناع يعتمد على الظَّن"، والإقناع الثَّاني في رأيه هو موضوع الخطابة" السُّوفسطائية"، فالعلم يقوم على مبادىء صادقة وثابتة، فالإقناع من هذه الوجهة يكون مفيدًا.

أي؛ أنَّ هذه الحجَّة تحمل فائدة علميَّة ثابتة ومقنعة لدى المتلقي، في حين نجد أنَّ الظَّن يقوم على الممكن والمحتمل، فهو لا يكسب معرفة بل يبني اعتقادًا فيكون ذهن المتلقي في تلك اللَّحظة بين البينين أي تقبل الحُجَّة أو رفضها (صدق، كذب) مما يجعله في حيرة وتشتُّت»[2].

وفي مقطع آخر من هذه المحاورة نجد قيم وظيفة الخطابة (خير/لذَّة) وذكر أنَّ هناك صنائع تحقِّق الخير للإنسان، وهي جسمه ونفسه، وبين الممارسات الَّتي تخاتل الإنسان وتخدعه، وهذه الأخيرة جمعها في اسم هو(التَّملق)، فهذه الكلمة تفيد اللَّذة والخداع، وفي رأيه أنَّ الخطابة" السُّوفسطائية" هي قول يتناول الظَّاهرة لا الحقيقة، ويقصد تحقيق اللَّذة للخير»[3].

فنفهم مما سبق أنَّ "أفلاطون" اعتمد في تقييم القول على منهج بحث في علاقة القول بالقيم ففي الجانب الأول ساوى القول الخطبي (القول الحجاجي) بمعيار العلم، ووازنه في المجال الثَّاني بمعيار الخير، أي أنَّ موضوع الخطابة عند" أفلاطون "يقاس بمعياري العلم والخير عند مقصد ينطلق من الخطابة، الَّتي تعتمد على ركيزتين أساسيتين هما: "العلم والخير" على عكس" الحجاج السُّوفسطائي" الَّذي لا أساس له من

---

[1]– فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، حمادي صمود، ص 57.

[2] –ينظر: المرجع نفسه، ص 57.

[3]–ينظر: المرجع نفسه، نقلا عن هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص 64.

الصِّحة باعتباره حجاجًا مغالطًا، مخادعًا وإيهاميًا (يوقع القارئ في دوامة من الحيرة الَّتي تفتح له تساؤلات قد لا يجد إجابات لها).

3- أرسطو والحجاج :

يُعتبر الحجاج عند " أرسطو" اللَّبنَة الأساسيَّة باعتباره المرجع الأوَّلي لما جاء بعده غربًا وعربًا حيث كانت فلسفته تنفتح على ضروب المعرفة إذ يبحث في الطَّبيعة "الميتافيزيقا"، والنَّفس وعلم السِّياسة، وفن الخطابة، يبحث في الجدل وما يتَّصل به من أقوال حجاجيَّة، قبل أن يبحث في البرهان وخصائصه البلاغيَّة عامَّة والعلميَّة خاصَّة.

ويعد كتاب" الخطابة "الَّذي كان يعرف عند القدماء "الرِّيطوريقا " أهمَّ كتاب اهتم بالإقناع وأدواته حيث درس الجدل في علاقته بالخطابة، وأكَّد" أرسطو" أنَّ مهمَّة الكلام ليست توضيح معنى الأحداث كما أنَّ مهمة الأحداث ليست توضيح معنى الكلام، فإذا لم يكن للحدث معنى خاص لكلٍّ منهما فلا مكان لهما في الحبكة، فلكلٍّ من الحدث والكلام مهمة صحيحة، ولا تنجح المسرحيَّة إذا ما حلَّ أحدهما الآخر،كي يعالج مساوئ زميله »[1].

ويوافقه عبد الله صولة بقوله: « إنَّ الجدل والخطابة قوَّتان لإنتاج الحجج»[2].

وهو يؤكِّد في هذا القول على التَّلازم الثُّنائي المتمثل في" الجدل والخطابة" فهما توأمان، وهذه الصِّلة القويَّة الملازمة الَّتي أشار إليها "أرسطو" في قوله: « إنَّ الخطابة فرع من الجدل وأيضًا فرع من علم الأخلاق ويمكن أن يدَّعي بحق علم السِّياسة»[3].

فأرسطو من هذا المنظور يرمي إلى إعادة تنظيم المعرفة (المتمثل في معرفة الخطاب البلاغي الجدلي من انفتاح على مختلف الميادين المعرفية الأخرى)، في حين يصل إلى أصوله بالملاحظة والتَّجريب والتَّحليل ويضع نظرياته في شكل لغوي مباشر وجازم، متبعًا في ذلك طريقة أستاذه المثالي آخذا بآرائه في السِّياسة والأخلاق، فلا خطابة ولا جدل بدون أخلاق.

---

[1]- ينظر : فن الشع، أرسطو، تر، تع، تح، إبراهيم حمادي، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة، دط، 1989م، ص 178، 179.

[2]- ينظر: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، ص 21.

[3]- فن الشعر، أرسطو، ص 21.

وإلى جانب هذا ترى "سامية الدُّريدي" في كتابها "الحجاج في الشِّعر العربي القديم" أنَّ قضيَّة الحجاج عند" أرسطو" تتمثَّل في علاقة الحجاج بمجالين :

أولهما: " الخطابة والجدل"، حيث يؤكِّد على وجود الحجاج في الخطابة،كما في الجدل بمعنى آخر» [1].

إنَّ الخطابة تعتمد الحجاج شأنهما في ذلك شأن الجدل، بمعنى أنَّ الاختلاف كامن في بنية الحجاج وفي كليهما، فهو في الخطابة حجاج في المثَلِ خاصَّة، ولكنَّه في الجدل حجاج بالقياس في أغلب الأحيان حيث يشير" أرسطو" إلى وجود قاسم مشترك بين الخطابة والجدل، «باعتباره سلسلة في الأدلَّة ترمي إلى نتيجة واحدة، أو الطَّريقة الَّتي تطرح بها الأدلَّة »[2].

يتَّضح من هذا أنَّ "أرسطو" يشير إلى اختلاف بيِّن بيْنَ مرتكزات الحجاج في الجدل ومرتكزاته في الخطابة، ففي الجدل تكون عقليَّة (المحتج يخاطب عقل المتلقي في قضيَّة، أو موقف ما)، أمَّا في الخطابة فتكون مرتكزات الحجاج فيها عاطفيَّة (من خلال التَّأثير العاطفي، حتَّى يصل أحيانًا إلى حدِّ الإثارة والتَّحريض؛ أي المخاطب يوجِّه خطابًا يستَفزُّ به عواطف المتلقي ويثيرها)، وبالتَّالي فالحجاج الجدلي ذو مجال فكري خالص، يسعى إلى الإقناع، أمَّا الحجاج الخطابي فهو موجَّه إلى الجماهير، وهو يهدف إلى صنع الاعتقاد وتثبيته.

ورد في بلاغة الإقناع "لمحمد العمري" فيما يخص الحجج، أنَّ مرتكز الخطابة عاطفي، حيث يتحدَّث" أرسطو" في موضوعات المشاركة الوجدانيَّة ويشبِّه الخطيب بالشَّاعر، لمشاركة الآخرين ما يجده أو يتظاهر به أو إشعارهم بمشاركته إيَّاهم، وتعاطفه معهم فيما ألمَّ بهم، على أنَّ الخطيبَ في مثل هذه الموضوعات يجد نفسه مُرسلاً ومُتلقِيًا؛ مثل: "ندب الموتى" ولا عجب فالوسائل أنجع في مثل هذه الأحوال »[3].

حيث تدفع بالخطيب إلى الإنزلاق من القول الخطابي المنثور إلى المنظوم، وهذا التَّضمين الخطابي من الآيات القرآنيَّة والأمثال والحكم، والأحاديث، والأبيات الشِّعريَّة يسميها "أرسطو" حجج صناعيَّة غير جاهزة» [4].

---

[1]- ينظر: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، سامية الدريدي عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 1428 هـ، 2008 م، ص 18.

[2]- المرجع نفسه، ص 18 .

[3]- ينظر: في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي في دراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن1نموذجا، محمد العمري، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1 ، 1406- هـ 1986 م، ص 64، 65.

[4] - ينظر: المرجع نفسه، ص 65 .

وإلى جانب ذلك تحدَّث "أرسطو" عن الخطابة والجدل وعرَّفه بأنَّه علم "الاستدلال المنطقي"، ولكنَّه مع ذلك يخالف البرهنة من جهة انطلاقه من مقدمات مشهورة، في حين تنطلق البرهنة في الرِّياضيات والعلوم من مقدمات صادقة ضروريَّة، ولذلك تأكد أنَّ مايميِّزه عن السَّفسطة أنَّه يستدل بطريقة صارمة محترمًا بدقَّة قواعد المنطق.

نستخلص مما سلف ذكره أنَّ عناية الفلاسفة بالخطاب قديمة تمتد جذورها إلى الفسلفة اليونانيَّة بل وقد وَجَدَتْ في تربة اليونان منبتًا خصبًا، فنشأت وأينعت، وتطورت تطورًا يمكن ملاحظته بيسر ورصد مختلف مراحله، مع "أفلاطون والسُّوفسطائيين، وأرسطو" وغيرهم من الفلاسفة، وإن كانت آثار أرسطو هي أهم تلك الأعمال وأبلغها تأثيرًا فيما سيلحقها من أبحاث ودراسات غربيَّة حديثة» [1].

ب)الحجاج في الفكر الألسني الغربي :

شغل موضوع الحجاج اللِّسانيين الغربيين في العصر الحديث كما شغل سابقيهم، ومن المهتمين أو البارزين الَّذين خاضوا غمار البحث نذكر: "بيرلمان وتيتكاه" ثم "ميشال مايير" وأخيرًا نختم باللُّغوي الفرنسي "ديكرو"، الَّذي أقام قطيعة مع التَّقاليد الغربيَّة القديمة حيث اهتم بالخصائص الجوهريَّة للُّغة بوصفها أهم خاصِّيَّة إنسانيَّة، وفي هذا الصَّدد يمكننَا أن نسلِّط الضَّوء على كل من "بيرلمان وديكرو".

1-الحجاج عند بيرلمان :

الحجاج بطبيعته عابر للتَّخصصات وأزمنتها، لهذا كان من المقبول علميًا وعمليًا أن يلجأ كل باحث بأمثلته التَّوضحية إلى مجال معرفي يختلف عن الآخر، وإن كانت البلاغة بأفقها الرَّحب هي الحاضر الأكبر في التَّمثيل والتَّوضيح.

لم تشهد البحوث الَّتي أنجزت حول الخطابة استفاقتها المثيرة إلَّا في القرن 20 وتحديدًا في السِّتنيات(60) من القرن المنصرم ومما ينبغي الوقوف عنده، أنَّ الخطابة الجديدة هي إحياء وانبعاث للخطابة القديمة وبروزها في حلَّة جديدة، فهي ستبقي على أشياء قديمة، لكن ليست تقليدًا لما هو قديم فحسب ، وإنَّما هي تطوير، وتغيير وتجديد، وهدفها يكمن في تأويل الخطاب وليس في تأسيسه.

[1]- ينظر: الحجاج في الشعر العربي القيدم، سامية الدريدي، ص 17، 18 .

وترى" سامية الدُّريدي" في كتابها" الشِّعر العربي القديم" « أنَّ الحجاج عند" بيرلمان"، هو جملة من الأساليب تطلع في الخطاب بوظيفة، هي حمل المتلقى على الاقتناع بما نعرضه عليه، أو الزِّيادة في حجم هذا الاقتناع» [1].

بمعنى أنَّ غاية الحجاج الأساسيَّة تأخذ من الجدل التَّماشي والتَّأثير الذِّهني الَّذي يقود إلى التَّأثير في المتلقي وإذعانه، فمجاله العقل والإدراك أي؛ أنَّ "بيرلمان" ينزِّل الحجاج بين الخطيب وجمهوره من أجل الدَّفع برأيه للمتلقي، بغية التَّأثير النِّهني في المخاطب وشدِّ انتباهه.

وزيادة الإذعان الَّذي هو الغاية من كل حجاج، هي الَّتي تنجح في تقوية حدَّة الإذعان عند من يسمعها، وتستكشف أيضًا أنَّ الحجاج نظريَّة مطابقة للبلاغة.

وهذا ما أكَّده "ابن الاثير" في كتابة "المثَل السَّائر في أدبِ الكاتب والشَّاعر" « مدار البلاغة كلها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتَّسليم» [2].

ومن خلال هذا القول نجده يصرِّح بأنَّ الهدف من الحجاج ليس فقط الإقناع الفكري، بمعنى تقبل العقل لما يطرح عليه، بل يهدف أيضًا إلى الحثِّ على الفعل، أو على الأقل الاستعداد لهذا الفعل .

ويرى "حسن خميس الملخ "في كتابه" الحجاج رؤى نظريَّة ودراسات تطبيقية" أنَّ "بيرلمان" يقسِّم الحجاج إلى صنفين بحسب نوع الجمهور "حجاج إقناعي" (l'argumentation persuasive) وحجاج اقتناعي (l'argunentation convaincante) فالأول يرمي إلى إقناع جمهور خاص (أي لا يتحقَّق إلَّا بمخاطبة الخيال والعاطفة) والثَّاني يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل فهو (عام) أي؛ موجَّه إلى السَّواد الأعظم فهو غاية كل حجاج» [3].

أي أنَّ" بيرلمان" ميَّز بين الإقناع والاقتناع فالأول يكون من قبل الغير، والثَّاني يكون من المرء من تلقاء نفسه ففي هذه الحالة يكون قد أقنع نفسه بأفكاره، وفي حالة الاقتناع فإنَّ الغير هم الَّذين يقنعونه، وهنا يكمن هدف الحجاج حسب ما نصَّ عليه "بيرلمان".

---

[1]- ينظر: الحجاج في الشعر العربي القديم، سامية الدُّريدي، ص 21، 22.

[2]- المثل السَّائر في أدب الكاتب والشَّاعر، ابن الأثير، ضياء الدين(ت 637 هـ)، تح، أحمد الحوفي وبدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، الرياض، 1983م، ط1،ج2، ص64.

[3]- ينظر: الحجاج رؤى نظرية ودرسات تطبيقية، حسن خميس الملخ وآخرون، عالم الكتب الحديث ،إربد الأردن، ط1، 2015 م، ص 6، 7 .

لذا يقول "بيرلمان": إنَّ الحجاج غير الملزم وغير الاعتباطي هو وحده القَمِين، بأن يحقِّق الحريَّة الإنسانيَّة، من حيث هي ممارسة لاختيار عاقل، كأن تكون الحريَّة تسليمًا اظطراريًا لنظام طبيعي معطى سلفًا، معناه انعدام كل إمكان للاختيار، فإذا لم تكن ممارسة الحريَّة مبنيَّة على العقل، فإنَّ كل اختيار يكون ضربًا من الخور، ويستحيل إلى حكم اعتباطي ليصبح في فراغ فكري »[1].

من خلال هذين النَّوعين من الحجاج يضع المؤلف الاقتناع أساس الحجاج وهدفه أنَّه يعتمد على الحريَّة والعقل، لكن هذه الحريَّة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالفعل، وهو ذو طابع عام لا يميز بين مستوى المتلَّقين، في حين أنَّ الحجاج الإقناعي يتميَّز بطابعه الخاص موجَّهًا إلى الخاصَّة أمثال" الشُّعراء والأدباء" ولقد اختار الباحث الحجاج الاقتناعي نظرًا لاصراره على الحريَّة والعقل في العمليَّة الحجاجيَّة.

2- الحجاج عند ديكرو O.DUCROT :

تعتبر النَّظريَّة الحجاجيَّة الَّتي وضع أسسها اللُّغوي الفرنسي "أزفالد ديكرو" نظريَّة قاعديَّة محوريَّة تهتم بالوسائل اللُّغويَّة الَّتي يستخدمها المتكلِّم بصدد توجيه خطابه وجهة ما.

وهنا نجد "سامية الدُّريدي" تبيِّن وجهة نظر" ديكرو "الَّذي يخالف مفهوم الحجاج عند" بيرلمان "وهذا في كتابه" الحجاج في اللُّغة"، فهو يرى أنَّ الحجاج أساس اللُّغة بل يكمن فيها، على عكس "بيرلمان" الَّذي اعتبره مجموعة من التِّقنيات والأساليب في الخطاب تكون شبه منطقيَّة، أو شكليَّة، أو رياضيَّة، وأنَّ من أهم المميزات الَّتي ركَّز عليها" ديكرو" في إبراز العمليَّة الحجاجيَّة في الخطاب التَّأكيد على الوظيفة الحجاجيَّة للبنى اللُّغويَّة، وإبراز سمة الخطاب التَّوجيهيَّة» [2].

وهنا نجد "ديكرو" يحرص كلَّ الحرص على جعل الحجاج أمرًا ثالثًا مفارقًا لهما رغم اتِّصاله بهما فالحجاج حسب التَّعريف الَّذي قدماه يأخذ من الجدل التَّمشي الفكري الَّذي يقود إلى التَّأثير الذِّهني في المتلقي، ويأخذ من الخطابة توجيه السُّلوك، أو العمل والإعداد له لكن يظل مختلفًا عن الخطابة والجدل.

أي؛ أنَّ المتكلِّم قد يصرِّح بالنَّتيجة وقد يخفيها فيكون على المتلقي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخباريَّة، بل اعتمادًا على بنيتها اللُّغويَّة فحسب.

---

[1]- ينظر: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم، حمادي صمود، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال" مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتكاه، عبد الله صولة، ص 301.

[2]- ينظر : الحجاج في الشعر العربي القديم، سامية الدريدي، ص 22، 23، 24.

وبعد أخذنا لمحة تاريخية غربيَّة قديمة وحديثة للحجاج يتَّجه ترحالنا إلى بوادر الحجاج عند بعض علماء العرب قديمًا وحديثًا، حيث نلمس هذه الظَّاهرة الحجاجيَّة عندهم في هذا العنصر الموالي:

ج) الحجاج في الفكر العربي القديم :

لقد أولى العرب الحجاج عناية كبيرة ، حيث يضرب الحجاج –الجدل، الجدال، المجادلة– بجذور قويَّة في الخطاب العربي، فضلًا عن الدَّور المهم الَّذي لعبه في الحياة العقديَّة والسِّياسيَّة بالبيئة العربية الإسلامية علاوة على استخدام البنية الحجاجيَّة في الخطاب العلمي البلاغي على نحو ما نرى في دفاع "عبد القاهر الجرجاني "(**ت 471هـ**) عن إعجاز القرآن لإقناع النَّاس بنظريَّة النَّظم مما طبع دلائله بطبيعة حجاجيَّة واضحة .

كما شغل الحجاج بعض القدماء(*)جنسًا خاصًّا عن الخطاب ويمكن الوقوف على محاولتين مهمتين في دراسة الحجاج لكلٍّ من "أبي الحسن إسحاق بن وهب، وحازم القرطاجني".

فنجد "ابن وهب" يقدم في كتابه "البرهان في وجوه البيان " تعريفًا دقيقًا للجدل والمجادلة: « إذ جعل منه خطابًا تعليليًا إقناعيًا، وميَّز من خلاله بين أنواع الجدل، وقام بتقسيمه إلى جدل محمود وآخر مذموم كما تحدث في بحث من مباحثه حول "أدب الجدل"، واشترط مجموعة من الشُّروط الَّتي يجب توفرها في المحاج ، كأن لا يقبل قولًا إلَّا بالحجَّة ولا يرده إلَّا بلغة، وأن لا يجيب قبل فراغ السَّائل من سؤاله، وأن لا يستصغر خصمه ولا يتهاون به ....» [1].

وذلك أنَّ الجدل عند"ابن وهب" آلة يتوسل بها إلى فتل الخصم عن رأيه إلى غيره بالدَّليل، أو قانون صناعي يعرف أحوال المباحث من الخطأ والصَّواب، وبعبارة أخرى الجدل كردِّ فعل للخصم عن رأيه إلى غيره في الحجَّة، ويكون الجدل مذموما ومحمودًا، فالمحمود غايته خير والمذموم ما يكون مقصوده نحو الشَّر.

---

* – نذكر بعض العلماء القدماء الذين اهتموا بالحجاج، "الجاحظ "(ت255هـ) في كتابه "البيان والتَّبيين"، كما تحدث عنه "ابن رشيق عبد الله بن المعتز" (ت226هـ) في كتابه"العمدة"، الَّذي ختم أبواب البديع الخمسة بالمذهب الكلامي –أسلوب حجاجي – وسماها بعضهم الاحتجاج النَّظري ومنه "الخطيب القزويني " (ت739هـ) في كتابه" الإيضاح " وأطلق عليه "الزَّمخشري" (ت427هـ–538هـ) إلجام الخصم بالحجَّة في "الإيضاح في علوم القرآن".

[1] – البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين إسحاق بن وهب، تح، جفني محمد شرف، مطبوعات الرسالة، عابدين مصر، دط، دت، ص176، 177.

أمَّا "حازم القرطاجني " (**ت 684هـ**) فإنَّ أهم ما يمكن أن يستخرج من نظريَّته العامَّة في التَّخيل والإقناع من خلال مؤلفه " منهاج البلغاء وسراج الأدباء "، أنَّه ميَّز بين جهتين للكلام.

حيث يقول : «لما كان كل الكلام يحتمل الصِّدق والكذب، إمَّا أن يردُّ على جهة الإخبار والاقتصاص وإمَّا يردَّ على جهة الاحتجاج والاستدلال ،كما تحدث أيضًا عن طريقتين لإقناع الخصم وهو يقول في ذلك التَّمويهات ترجع إلى الأقوال، والاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله أو باستمالة المخاطب حتَّى يصير بذلك كلامه مقبولًا عند الحكم وكلام خصمه غير مقبول »[1].

ومن خلال القولين نستنتج أنَّ "القرطاجي" و "ابن وهب" قد أسهمَا في إبراز الأساليب الَّتي يجب أن يتحلَّى بها المحاجج مع خصمه، ومدى إجابيَّة تأثيرها في كسب الخصم أو التَّغلب عليه كأسلوب الاستلطاف، والاستمالة، والتَّهيؤ، وما إلى ذلك من آداب الجدل والمناظرة .

وباعتبار أنَّ الكلام عند "حازم القرطاجني" يحمل الصِّدق والكذب فهو ينعكس عند "ابن وهب" في أفعال الذَّم (الكذب والمغالطة) والمدح والصِّدق (إقناع، إذعان).

ونجده كذلك عند "الجاحظ" (**ت 255 هـ**) في كتابه "البيان والتَّبيين"، قد تناول فصولاً كثيرة فيما يتعلق بالحجاج، ففي الفصل الَّذي تناول فيه البلاغة حاول إيضاح هذا المفهوم بالاستشهاد بصحيفة تنتمي إلى الثَّقافة الهنديَّة .

إذ يقول: «أوَّل البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، وذلك أنَّ يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح قليل اللَّحظ، مُتَخَيِّرَ اللَّفظ لا يكلم سيِّد الأمَّة، ولا الملوك، بكلام السُّوقةَ، ويكون في قِواه فضل التَّصرف في كلِّ طبقة »[2].

يرى" الجاحظ" أنَّ عدة الخطيب وآلية الإقناع ينبغي أن تكون في شخصيته القويَّة (رابط...) وأن يختار الألفاظ والتَّراكيب المناسبة للطَّرف الَّذي يكلمه (الملوك، السُّوقة) وأن يعطي لكلِّ مقام مقالاً كما يستشهد أيضًا بخطابات من أقوال العرب سواء في النَّثر أو الشِّعر، فهو يتعامل مع كل جنس بوصفه خطابًا

---

[1]– الحجاج مفهوم ومجالات، دراسات نظرية وتطبيقة في البلاغة الجديدة، حافظ إسماعلي علوى، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م، ج4، ص9، نقلا عن كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء حازم القرطاجني ص63.

[2] – البيان والتبيين، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت255هـ)، تح، عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، دت، ص92.

ويتحفَّظ لكلِّ جنس بخصائصه الَّتي تُميِّزه، وهذه من مزاياه النَّادرة، فمفهوم الخطاب عنده لا يقتصر على جنس بعينه.

ونجده في بعض مناظراته قد ردَّ على الَّذين رفضوا البيان فقال: «... ولو كانت كتب الزَّنادقة كتب حكم، وكتب فلسفة، وكتب مقايس وسنن وتبيين....لكانوا ممن قد يجوز أن يظن بهم تعظيم البيان والرَّغبة في التَّبيين، ولكنهم ذهبوا مذهب الدِّيانة وعلى طريق تعظيم الملَّة»[1].

وهنا نجد "الجاحظ" يرفض كتب الزَّنادقة، ويحطُّ من قيمتها باعتبارها لا تقوم على البيان والتَّبيين لذلك صَغُرَت قيمتها في عينه لأنَّها تابعة للدِّيانة .

كما اهتم بالفعل اللُّغوي، واعتبره الأساس لكل عمليَّة بيانيَّة حجاجيَّة، والكلام في نظره لا يمكن تمييزه عن البلاغة، فهو في نظره يضطلع في حياة الفرد بوظيفتين أساسيتين هما: "الوظيفة الخطابيَّة" وما يتَّصل بها من إلقاء، وإقناع واحتجاج ومنازعة، ومناظرة، وأمَّا الوظيفة الثَّانية، فهي"الفهم والإفهام" (البيان ،والتَّبيين) وربط البيان بوظيفتين، أولهما: إفهامية والثَّانية حجاجيَّة (إقناعية)، الأولى تتَّصل بعناصر المقام وخصائه والثَّانية أساسها الفصاحة وإحكام الحجَّة ومعرفة أحوال المخاطبين، ومستويات تقلبهم، ومن العناصر الحجاجيَّة الَّتي اهتم بها "مقتضيات المقام" وما تحمله من أحوال الخطيب وكفاءته اللُّغويَّة وهيئته وصفاته الخلقيَّة وما يحسن عليه ومايقبح »[2].

وتحدث عن صفة القلَّة في الكلام عند الأنبياء مستحضراً قول الرَّسول –صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّا مَعْشَرَ الأَنْبِياءِ بِكَاءٌ، والبِكْئُ القِلَّة »[3].

ويوضِّح الجاحظ هذا بقوله: «ليس في ظاهر هذا الكلام دليلٌ على أنَّ القلَّة من عجر في الخلقة وقد يحتمل ظاهر الكلام الوجهين جميعًا، وقد يكون القليل من اللَّفظ يأتي على كثير من المعاني »[4] أي؛ كلَّما كان الكلام قليلًا كان أكثر دليلًا وأكثر فائدة وخير الكلام ماقلَّ ودلَّ.

فقد تحدث "الجاحظ" مطولًا عن البيان والتَّبيين بدأ بصفة تركيب الكلام (عدم تركيب حروف متقاربة المخارج، والمقطعة المشاركة لمخارج حروف النَّاس ...)، مثلا الميم والباء أوَّل مايتهيَّأ في أفواه الأطفال

[1] – البيان والتبيين، الجاحظ، ص92.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص 162 .

[3] – ينظر: المصدر نفسة ج4، ص 27.

[4] – ينظر: المصدر نفسة ج4، ص 27.

كقولهم: مَامَا بَابَا، لأنَّهما خارجان من عمل اللِّسان من خلال التقاء الشَّفتين، فأمَّا الضَّاد فليست تخرج إلَّا من الشِّدق الأيمن، إلَّا أن يكون المتكلِّم أعسر يسرًا، مثل: عمر بن الخطاب –رحمه الله– فإنَّه كان يخرج الضَّاد من شدقيه، فليس يمكنهم ذلك إلَّا بالاستكراه الشَّديد وكذلك الأنفاس مقسومة على المنخرين »[1].

وكما سبق وتحدثا "ابن وهب والقرطاجني" عن أسلوب الاستمالة والاستلطاف نجد كذلك "الجاحظ" قد تطرق إليهما بقوله: «أنَّ معنى الإقناع والبصر بالحُجَّةِ، تنتقل بالبلاغة إلى معنى ثالث، هو معنى الاستمالة والجلب بالوسائل الجماليَّة فالبلاغة حينئذٍ هي فتنة القول، وخلابة الألسنة، واستمالة الأسماع بحسن المنطق وتزيين المعاني في قلوب المرِيدينَ بالألفاظ المستحسنة في الآذان المقبولة عند الأذهان رغبة في سرعة الاستجابة، وهي جودة الإفهام، وحكمة الإبلاغ الَّتي اختص بها القرآن »[2].

ومعنى هذا أنَّ "الجاحظ" يبيِّن تقنية تلقيين الخبر، وليس نقل الخبر كيفما كان، فالبليغ البارع عنده هو الَّذي يعرف كيف يلقِّن لنا هذه الأخبار والأشعار ليستميلنا ببراعته، ويحقِّق الإبلاغ والإفهام والإقناع والاقتناع، فتُزال الشُّبهة الَّتي قد تعلَّق بالأذهان، فالأخبار لا بد أن تقتضي ديباجة كريمة ورونقًا عجيبًا وسبكًا، ونحتًا.

ونجد أبا "هلال العسكري" (**ت395 هـ**) في كتابه"الصِّناعتين" يقرن الحجاج بالشِّعر، معناه أنَّ الشِّعر له وظيفة حجاجيَّة كبيرة، لأنَّ الشَّاعر يقول كلامًا يحسُّ ويَشعرُ به دون غيره، لذلك فهو يريد أن يصل إلى مرامٍ، وأهداف حجاجيَّة .

فمن خلال شعره يقول: «وهو الَّذي يملك ماتعطف به القلوب النَّافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة وتلين به العريكة، الأبيَّة المستعصية، ويبلغ به الحاجة وتقام به الحُجَّة»[3].

نلاحظ من خلال قول" أبي هلال" أنَّ الشِّعر هو الفن الأساسي الَّذي تقام به الحجج، وذلك من خلال اللُّغة الشِّعريَّة، البليغة الَّتي تحقِّق الغاية الإقناعيَّة لدى المتلقي، فالشِّعر أسلوب من الأساليب التَّأثيرية للمحاجج.

---

[1]– ينظر: البيان والتبيين، ج1، ص 62.

[2] – النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، من خلال البيان والتبيين، محمد الصغير بناني ،ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 1994م، ص239.

[3] –الصناعتين، أبو هلال العسكري(ت395هـ)، تح، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العسكرية، بيروت، ط1، 2006م، ص49.

د) الحجاج في الفكر العربي الحديث :

لم تُطالِعنَا الدِّراسات العربيَّة الحديثة بآراء مختلفة عن آراء الدَّارسين الغرب، بل لم تتعدَّ العرض والتَّفسير وإن اختلفت إنَّما تختلف بالتَّطبيقات، الَّتي تتباين بتباين النُّصوص، خاصَّة منها القرآنيَّة والتراثيَّة ...لكنَّنا قد نواجه ونجد وجهات نظر تُعَدِّدُ زاوية المعالجة الَّتي ينطلق منها الدَّارس كالفلسفة لا سيما عند: "طه عبد الرَّحمن"، البلاغة القديمة (الخطابة) عند "محمد العمري"، وغيرهم من الدَّارسين.

1- الحجاج عند طه عبد الرَّحمن :

يتصف رأ ي "طه عبد الرَّحمن" للحجاج بالطَّابع الفلسفي، باعتباره أستاذًا للمنطق وفلسفة اللُّغة من جهة، لاستناده على أصول تعتمد الفلسفة، والمنطق كالمؤلفات العربيَّة القديمة، والغربيَّة القديمة والحديثة من جهة أخرى، لأنَّ هذا النَّوع من الخطابات يعتبر فلسفيًا قبل كل شيء، من خلال تَعَلُّقِهِ بالكلام والخطاب.

ووضَّح في كتابه "اللِّسان والميزان" نظريَّة الحجاج انطلاقًا من كونه صفة للخطابة، «إنَّ الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجيَّة بناء على أنَّه لا خطاب بلا حجاج »[1].

ونفهم من هذا أنَّ "طه عبد الرَّحمن" يجعل للحجاج والخطابة علاقة متكاملة أي؛ لا وجود لخطاب دون حجاج والعكس صحيح فالتَّكوثر الخطابي يولِّد لنا حجاجًا ومن هنا ينطلق في تعريف الخطاب تعريفًا خاصًا ينبني على قصدين هما قصد الادعاء، وقصد الاعتراض .

حيث شرح هذين القصدين بقوله:«أمَّا قصد الادِّعاء فهو الاعتقاد الصَّريح للخطاب لما يقول من نفسه وتمام الاستعداد لإقامة الدَّليل عليه عند الضَّرورة،وقصد الاعتراض يكون من المخاطب إلى المنطوق له »[2].

فالمدَّعي إذن؛ هو المخاطب الَّذي يقدم الاستدلال على قوله، أمَّا قصد الاعتراض هو المطالب بالدَّليل على قول المدَّعي، وحتَّى يكون المنطوق به خطابًا حقاً يُشترَطُ توفر الادِّعاء والاعتراض، كما نجده كذلك لم يغفل في كتابه في "أصول الحوار وتجديد علم الكلام"، عن أهم خصائص الحجاج وهي الحواريَّة أو المحاورة.

---

[1] – اللِّسان والميزان أو التَّكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م، ص213.

[2] – المرجع نفسه، ص225.

وتحدث أيضًا عن الإستعارة وعدَّها مركزًا للحجاج، نظرًا لما تحقِّقه من نتائج إجابيَّة بلاغيَّة تساهم في تقريب المعنى إلى ذهن القارئ حيث يقول: «العلاقة الإستعاريَّة أدلُّ ضروب المجاز على ماهية الحجاج»[1].

أي؛ أنَّها توفِّر الطَّاقة الحجاجيَّة للمتكلِّم ليقنع السَّامع بتركيب استعاري حجاجي، من أجل التَّأثير في المتلقي وشدِّ انتباهه، فتصبح هذه الاستعارة كالرِّماح يشقُّ ويعصف ذهن وقلوب السَّامعين فيتلذَّذ المتلقي باستقبال هذه الرِّسالة الكلاميَّة المبثوثة إليه .

فقد تميزت نظرة "طه عبد الرَّحمن" للحجاج بطابع فلسفي لأنَّه يستند إلى المنطق، من خلال مزاوجته بين القديم العربي والحديث الغربي، فعقد في كتابه "اللِّسان والميزان"بابًا سماه "الخطاب والحجاج"، رأى فيه أنَّ الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجيَّة، بناءً على أنَّه لا خطاب بدون حجاج، وذكر أيضًا أنواع الحجج وأصناف الحجاج، وركَّز على السُّلم الحجاجي بوصفه عمدة في الحجاج»[2].

2- الحجاج عند محمد العمري:

وإلى جانب"طه عبد الرَّحمن" نجد"محمد العمري" في كتابه" بلاغة الخطاب الإقناعي" أنَّهم لم يهتموا بالدِّراسة النَّفسيَّة والأخلاقيَّة للمرسل والمتلقي، وحاولوا أن يدرجوا تحت عنوان: "المقام والحال" ملاحظات كثيرة فيها ينبغي للخطيب أن يكون عليه، أو يراعيه من أحوال المستمعين، بمعنى أنَّ "محمد العمري" يحاول في هذه الدِّراسة تتبُّع الخطاب الإقناعي في المتن الخطابي العربي في القرن الأول هجري .

فهو يعتمد كل الاعتماد على الأُسس الأرسطيَّة لبلاغة الخطاب، وخاصَّة الحجج والبراهين الخطابيَّة إلَّا أنَّه ركزَّ على عنصرين اثنين من عناصر الإقناع في البلاغة العربيَّة القديمة، وهما: المقام وصور الحجاج (القياس، المثَل، الشَّاهد)، إضافةً إلى عنصر الأسلوب نجده قد صنَّف المقامات إلى أنواع، مقامات الخطابة السِّياسية (حسب العلاقة بين الرَّاعي والرَّعية)، مقامات الخطابة الاجتماعيَّة: (وتتمثَّل في التَّنظيم الاجتماعي) »[3].

بعد التَّدرُّج في الحديث عن الحجاج تاريخيًا من خلال معرفة أبعاده عند علماء الغرب والعرب قديمًا وحديثاً، لا بد من الوقوف عند حدِّ الحجاج في النَّص القرآني، باعتباره موضوع الدِّراسة في هذا البحث.

---

[1] - اللِّسان والميزان أو التَّكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص233.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص213.

[3] - ينظر: في بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري، ص18.

و) قبسات حجاجِّية في القرآن والسُّنَّة النَّبويَّة والنَّحو العربي:

لقد أطبق العلماء منذ القديم على أنَّ الاحتجاج بكلام اللَّه وبقراءاته أمر مسلَّم وهو يأتي متقدِّمًا على الأصول الأخرى، وهو أصل أصيل بالنِّسبة للتَّقعيد في النَّحو العربي لأنَّه كلام الحق سبحانه، أفصح كلام وأبلغ فلا غَرو أن يكون أوَّل كتاب علَّم النَّاس كيف يفكرون وكيف يستنبطون الأحكام العقليَّة المنطقيَّة المبنيَّة على نتائج صحيحة.

فقد دعاهم في آيات كثيرة إلى استخدام عقولهم للتَّوصل إلى حقائق الظَّواهر المحيطة بهم، فَاعتُبِرَ استخدام العقل السَّليم مبدأً أساسيًا في الإيمان الصَّحيح، والعلم والتَّفقُّه، والفطنة، والتدبُّر لهذا تَميُّز آيات القرآن البيِّنات بخصائص متعدِّدة منبعها سمة الإعجاز فيه وسحر بيانه.

ومن هذه الخصائص "أسلوب الحجاج" الَّذي يعتمد التَّفكير العقلي والبرهان والحُجَّة لردِّ الرَّأي برأي أقوى منه، والحُجَّة بحُجَّة أبلغ منها قال تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [1].

والقرآن خطاب حجاجي، موجَّه في أساسه إلى التَّأثير على آراء المخاطَب وسلوكاته واستمالة النُّفوس وتوجيه العقول.

وإلى جانب هذا نجد الحجاج، قد أخذ نصيبًا أوفر في الحديث الشَّريف باعتباره العامل الثَّاني بالنِّسبة للقرآن، فهو متمِّم ومكمل لما جاء في القرآن الكريم لأنَّه فصيح وبليغ، لهذا اختار اللَّه –محمد صلى اللَّه عليه وسلم– موجهًا رسالته للأمَّة عامَّة لإعجازهم بفصاحته، بالرَّغم من أنه أُمِيٌّ فوكِّل أن يفسر كتابه –عزَّ وجلَّ– وسنن وحيه، لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [2].

وقوله أيضا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾ [3].

وغيرها من الآيات الدَّالَّة على عمل الرَّسول – صلى اللَّه عليه وسلم– في الإبلاغ، والتَّبيين والتَّوجيه نحو(خطبة حجة الوداع).

---

[1] – سورة الأنعام، الآية : 149.

[2] – سورة النحل، الآيتين : 43–44.

[3] –سورة الجمعة، الآيتين : 2–3.

وهذا مانجده في دعوى النَّبي – محمد صلى اللَّه عليه وسلم- كنموذج قرآني في مضامين الجدال والحجاج والحوار، حيث يعرض صاحب "التَّأصيل للحوار والجدال والحجاج إسلاميًا"، بعض السُّور والمواقف الَّتي وردت في كل من سورة البقرة، وسورة الأنعام كأنموذج للجدل والحوار المكِّي والمدني، وهو بدوره يكشف عن مضامين هذه الآيات الحجاجيَّة، بين النَّبي- محمد صلى اللَّه عليه وسلم- وبين المشركين والكافرين على اختلاف أطيافهم .

فيشير إلى المفاهيم والمنطلقات الدَّعويَّة،كما أنَّها تعطي تصويرًا عن طبيعة الجدال والحوار وأسلوبه ومجالاته في دعوة النَّبي – محمد صلى اللَّه عليه وسلم – للقرآن المكِّي والمدني، نظرًا لما تحمله هاتين السُّورتين من الأنماط الجدليَّة الحواريَّة الدَّعويَّة، فهي تتضمَّن قيم أخلاقيَّة مُثلَى، تُغَيِّر وتعالج القلوب المريضة بالعقد النَّفسيَّة وسوء الخُلُقْ (كالتكبر والغرور)»[1].

وهذه القيم على نمط من الحوار التَّلقيني، موجَّه إلى المشركين والكافرين في الآيات المكيِّة، وإلى أهل الكتاب والمنافقين في الآيات المدنيَّة، فغاية مضامين الآيات المكيَّة كانت على وجه الإنكار عليهم في عقائدهم الباطلة، وأمَّا الآيات المدنيَّة فكان مرْماهَا فضح وكشف خباياهم (أهل الكتاب والمنافقين)، والرَّد على افتراضاتهم وتحريفاتهم للدِّين»[2].

وزيادة على هذا فإنَّ القرآن تاج اللُّغة العربية، وهذه الأخيرة وعاء تحفظه، والنَّحو باعتباره سياجًا يحميه، فلم يغفل بدوره في تحليل أساليب القرآن الحجاجيَّة، ويبدوا أنَّ مسألة الحجاج أمر شائع بين اللُّغويين والنَّحويين العرب، بدليل مسائل الخلاف الَّتي وقعت قديمًا بين أصحاب المدارس النَّحوية من كوفة وبصرة أمثال "الكيسائي، والفرَّاء، وسبويه، ونفطويه، والأعلم الشَّنتمري، والخليل بن أحمد الفراهيدي".

مما استدعى العامل الحجاجي كثيرًا في التَّبليغ لقضيَّة نحويَّة ما، والتَّأكيد عليها بأدلَّة وبراهين نحويَّة ودحض أخرى وفي هذا المقام يمكن إدراج بعض من المسائل، وذلك لاستظهار عمليَّة الحجاج ودوره الفَعَّال في إذعان الخصم.

ومن المناظرات النَّحويَّة التي ذاع صيتُها في الآفاق مناظرة "الكيسائي مع سبويه" بحضرة "الرَّشيد" وهذا ما ورد في كتاب"الأشباه والنَّظائر في النَّحو"، قال "الفراء": قدم سبويه على البرامكة، وكان "يحي بن

[1] – ينظر: التأصيل للحوار والجدال والحجاج إسلاميا، إحسان عبد المنعم سمارة، عالم كتب الحديث، إربد، الأردن، 2015م، ط1، ص93، 94.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص93، 94 .

خالد" عاقدًا عزمه أن يجمع بين "الكيسائي وسبويه"، فجعل لذلك يومًا ،فلمَّا حضر تقدمت والأحمر(*) فأقبل عليه الأحمر فسأله عن مسألة أجاب فيها سبويه فقال له: أخطأت، ثم سأله ثانية وثالثة، وكان يُخطِّئُهُ في كلِّ مرة، فلمَّا كثر ذلك، قال: لست أكلمكما أويحضر صاحبكما حتَّى أناظره، قال: فحضر "الكيسائي" فأقبل على "سبويه" فقال: تَسْأَلُنِي أو أَسْأَلُكَ ؟»[1].

فقال: لا بل سلْنِي أنت، فقال"الكيسائي": ماتقول في قول العرب:كُنْتُ أَظُنُّ أنَّ العقربَ أشدُّ لسعةً من الزُّنبورِ، فإذا هو هي، فإذا هو إيَّاها؟، فإذا هو هي، ولا يجوز النَّصب، فقال له الكيسائي:لحنت، فقال الرَّشيد: اختلفتمَا وأنتمَا سيدَا بلديكُمَا، فمن ذا يحكم بينكُمَا، فقال الكيسائي هذه العرب على بابك أتتك من كل حدبٍ وصوبٍ سَلْهُمْ، ولما سألهم قالو القول ماقال الكيسائي، قال سبويه: سَلْهُمْ إن كانت ألسنتهم تطاوعهم على النُّطق بها،وعندها أدرك سبويه أنَّها مؤامرة فانصرف مهمومًا، ولم يعد إلى البصرة إلى أن وافته المنيَّة»[2].

وفكرة حضور الطَّرف الثَّاني ومناظراته، من صميم آليات الحجاج فهي معروفة ومنتشرة بكثرة وهذا ظاهر بيِّن لدى النُّحاة العرب فمن خلال هذه المناظرة لا حظنا أن "سبويه "دعَّم وثبَّت وجهة نظره داحضًا رأي خصمه (الكيسائي) بحجج نقليَّة جعلته يحيط إحاطة السِّوار بالمعصم.

* – أبو محرز ابن حيان المعروف بخلف الأحمر، فإنَّه كان مولى أبي بردة، وكان يقول الشِّعر فيجيد، وهو أول من أحدث السَّماع بالبصرة، وذلك أنَّه جاء إلى حماد الرَّاوية فسمع منه، نزهة الألباب في طبقات الأدباء، أبو البركات الأنباري، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1 ،1424هـ-2003م، ص59.

[1] – ينظر: الأشباه والنَّظائر في النحو، جلال الدِّين السَّيوطي (ت849هـ-911هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، ج3، ص85.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص86.

الفصل الأول:

الحجاج مقاربة نظريَّة

*** الحجاج لغة واصطلاحًا.**

*** خصائص الحجاج،وأهميته،وأهدافه،وأدواته.**

*** آليات الحجاج.**

*** طرقه وأصنافه.**

ممَّا لاريب فيه أنَّ ظاهرة الحجاج، تجلَّت بكثرة في كلام الله –سبحانه وتعالى– وأقوال سيِّد الخلق محمد–صلى الله عليه وسلم– ابتداءًا من الحوار الأوَّل، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [1].

ومرورًا بمحاجَّة وحوار الأنبياء والرُّسل مع أقوامهم وانتهاءً بحوار الخالق مع الخلق سبحانه يوم القيامة، ونجد الحجاج وآلياته يرد في كثيرٍ من الآيات القرآنيَّة نذكر قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ [2].

فالحجاج من قرع الحُجَّةِ بالْحُجَّةِ بمعنى الجدال والمجادلة ويمكن أن يسمى بفنِّ الجدل العلمي وهو بهذه الدَّلالة ممارسة عقليَّة يهدف إلى تحقيق الإقناع والاقتناع، فهو تكييف للممارسة اللُّغويَّة يُظْهِرُ ضوابط إنتاج اللُّغة، ويوضِّح الرِّسالة اللُّغويَّة في سياقها ويكشف عن موقف المتلقي مما يَلْقَاهُ قُبُولًا بالتَّسليم أواستفسارًا للفهم، أو رفضًا بالحجَّة والبرهان، وهذا لتحقيق تواصل لساني ناجح، وإلى حانب هذا فهذه الآلية يحتاجها الإنسان في التَّعبير عن أفكاره وللغير، من خلال تبادل المعارف وإعطاء المعلومات عن كلِّ مايريد ايصاله للآخر من معتقدات وآراء فكريَّة، وسياسيَّة وقانونيَّة، واجتماعيَّة؛ من أجل تحقيق التَّعاون والتَّفاهم ونشر المودَّة والتَّقارب بين النَّاس.

ولرفع السِّتار وإزالة الإبهام عنه فهذا ماسوف نعرِّج عليه في المعاجم والكتب اللُّغويَّة، وعليه نبني هذا التَّصور وفقًا لهذه التَّساؤلات، فما معنى الحجاج لغة واصطلاحًا؟ وما أهميته وخصائصه، وأدواته؟.

المبحث الأول: ماهية الحجاج اللُّغويَّة والاصطلاحيَّة

أ) **الحجاج لغة**: Argumentation .

تدور معاني الجذر اللُّغوي لكلمة حجاج في "معجم العين" "للخليل بن أحمد الفراهيدي" حول معنى كلمة حجَّ: قد تُكسر الحَجَّةُ والحَجُّ فيقال: حِجٌّ وحِجَّةٌ، ويقال: للرَّجل الكثير الحَجِّ الحَجَّاج من غير إمالة والحِجَّةُ: شحمة الأذن، والمِحَجَّةَ: قارعة الطَّريق الواضح، والحُجَّةُ: وجه الظَّفْرُ عند الخصومة، والفعل حَاجَجْتُهُ .

[1]– سورة الأعراف، الآيتان : 172– 173.

[2]– سورة الشورى، الآية : 16.

فَحَجَجْتُهُ، واحْتَجَجْتُ عليه بكذا، وجمع الحجَّةِ حُجَجٌ، والحِجَاج المصدر، والحَجَاجُ: العضم المستدير حولَ العين »[1].

وجاء في لسان العرب "لابن منظور" مايلي: حاَجَجْتُهُ أُحَاجِجُهُ مُحَاجًّا ومُحَاجَجَةً حتَّى حَجَجْتُهُ أي غلبته بالحجج الَّتي أدليت بها، والمِحَجَّةُ الطَّريق، وقيل: جادَّة الطَّريق، والحُجَّة: البرهان، وقيل الحَجَّةُ مادوفع به الخصم، وقال"الأزهري": الحجَّةُ: الوَجْهُ الَّذي يكون به الظَّفْرُ عند الخصومة وهو رجل محَاجِجٌ؛ أي جدل، وفي الحديث: فحجَّ "آدم موسى" أي؛ غلبه بالحجَّةِ، واحْتَجَّ بالشَّيء اتَّخذه حُجَّة والحُجَّةُ الدَّليل والبرهان »[2].

فعلى هذا تكون معاني الحجاج دائرة حول التَّخاصم والتَّنازع والتَّغالب واستعمال الدَّليل والبرهان، في مقامات النِّزاع والخصام، واختلاف وجهات النَّظر والقناعات، فالمحاجج يشترك مع الطَّرف الآخر(المحَاجَجْ) في نشاط ذي طبيعة فكريَّة تواصليَّة، يعمد فيه إلى استعمال الدَّليل والبرهان لغاية معيَّنة أو مقصودة لذاتها أثناء الحجاج فيكون مرادفًا للجدل في نظر"ابن منظور" أيضًا: «مقابلة الحُجَّة بالحُجَّة والمجادلة المناظرةوالمخاصمة»[3]، ونجده يتطابق مع قول "الخليل" «حَاجَجْتُهُ فَحَجَجْتُهُ واحْتَجَجْتُ عليه بكذا »[4] أي؛ إقامة الحُجَّة والدَّليل والبرهان على الخصم حتَّى يتحقَّق الإقناع وبلوغ الهدف وتحقيق التَّواصل، ووظَّف صاحب "القاموس المحيط" المعنى ذاته في قوله: «والمحاجج الجدل»[5].

ب) الحجاج اصطلاحًا:

ورد في "التَّأصيل للحوار والحجاج والجدال إسلاميًا" أنَّ مصطلح الحجاج هو أسلوب من أساليب الجدال للوصول إلى إلزام الخصم الحُجَّة، وإفحامه أو التَّغلب عليه، من خلال الاعتماد على البراهين

---

[1]- ينظر: معجم العين، الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت 100-175)، تح ،مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دط، ج3 ،ص9، 10.

[2]- يبظر: لسان العرب، ابن منظور، تح، عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارفّ، كورنيش ،النيل، القاهرة، دط، ج1، ج9، ص 778، 779.

[3]-المصدر نفسه، مادة جدل، ج11، ص 105.

[4]- معجم العين، الخليل، ص10.

[5]- قاموس المحيط، فصل الحاء، باب الجيم، مجد الدِّين محمد يعقوب الفيروز أبادي (817-729هـ)، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرِّسالة، إشراف محمد نعيم، ج1، ص181 .

والبيانات القاطعة والدَّامغة والأدلَّة العقليَّة والنَّقليَّة المقنعة، وعليه فالحجاج مأخوذ من المحاجَّة وهي مأخوذة من الحُجَّةِ أي؛ البرهان والدَّليل»[1].

بمعنى أنَّ الحجاج وسيلة تواصليَّة بين البشر فهي تمنح الفرصة للجميع في الإشتراك في هذا الفضاء التَّحاججي، شرط أن يكون لكل طرف مع خصمه حجج وأدلَّة وبراهين بهدف تحقيق فعل الإقناع والاقتناع بين الطَّرفين، وإلى جانب هذا نجد "طه عبد الرَّحمن" يعرِّفه: بأنَّه كل منطوق به موجَّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة، يَحِقُّ له الاعتراض عليها»[2]؛ ومعنى هذا القول أنَّ غاية الرِّسالة الشَّفويَّة فهم وإفهام المتلقي في حين يجيز له حريَّة القبول والرَّفض لهذا الخطاب الموجَّه له .

وقد عرَّف "الشَّريف الجرجاني" بقوله: «ما دُلَّ به على صحَّة الدَّعوى»[3]؛ إثبات صحَّة وجهة نظر ما أو نفيها، أو تأكيد ضِدِّهَا، أو دحضهما جميعا؛ بمعنى أنَّه لما يقوم المحاجج بطرح قضيَّة معيَّنة لا بدَّ له أن يرفقها بدليل قاطع، سواء تعلَّق بالاثبات أو النَّفي، فهو يرمي إلى تحقيق عمليَّة التَّواصل، من خلال إقناع الخصم.

نستنتج مما ذكر أنَّ مفهوم الحجاج اللُّغوي والاصطلاحي يندرجان في معنى واحد، فكلاهما يعنيان القصد أي؛ أنَّ لفظة الحجاج تعني الوصول إلى القصد بالبرهان و الحُجَّة، وهذا يعني أنَّ المعنى الأصلي للفظة لا يبتعد كثيرًا عن معناها الاصطلاحي، وفي هذا المعنى وردت آيات في القرآن الكريم تشير صراحة إلى معنى المحَاجَجَة .

أمَّا في الجانب النَّحوي فقد ورد في "مجلة عالم الفكر" في "الحجاج" أنَّ الحُجَّة النَّحويَّة: تدلُّ على ما تصحُّ به مصطلحات النَّحو وأحكامه وقواعده في الوجوب والجواز والامتناع ويعتمد الحجاج في النَّحو العربي على ركنين لا خلاف في ضرورتهما له بمفهومه العلمي البحثي وهما: "السَّماع والقياس"، فلا يمكن لأيِّ محجاج في النَّحو أن يتخلى أيًا منهما على الجملة أو يتجاوز الإتكاء عليهما فالحُجَّة النَّحويَّة

[1]- ينظر: التأصيل للحوار والجدال والحجاج إسلاميا، إحسان عبد المنعم سمارة، ص35.

[2] - ينظر: اللِّسان والميزان، أو التَّكوثرالعقلي، طه عبد الرَّحمن، ص226.

[3]- كتاب التَّعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، دط، 1985م، ص86.

دليلٌ اتَّخذها علماء النَّحو لإثبات حكم نحوي أو نفيه، فالحُجَّة النَّقليَّة تتمثَّل في النَّص القرآني والشِّعر والنَّثر أمَّا العقليَّة تتمثَّل في القياس والإجماع»[1].

المبحث الثاني: خصائص الحجاج وأهميته وأهدافه وأدواته.

لقد سبق لنا وتحدثنا عن المفاهيم الأوَّليَّة للحجاج، وها نحن الآن بصدد حصر جملة من خصائصه ومميزاته، وبيان مدى أهميته وتحديد بعضًا من أدواته.

1- الخصائص :

ذكر "عبد الهادي الشَّهري" خمسة ملامح هي:

1- أن يتوجَّه إلى مستمعٍ؛ بمعنى أنَّ دائرة الحجاج لاتقوم إلَّا بوجود مُرسِل ومستمع، وإذا لم يتوفر هذا الشَّرط يكون الحجاج في حلقة مفرغة أو بمعنى آخر يدرك مايقول، فيخاطبه بالمغزى الَّذي يريد الوصول إليه.

2- أن يعبر عنه بلغة طبيعيَّة في العادة يخلو الحجاج من كل ما من شأنه أن يعكر صفوه؛ بمعنى آخر استعمال اللُّغة الواضحة البعيدة عن الغموض والإبهام والتَّشعُّب .

3- مسلماته لا تعدو أن تكون احتماليَّة، وأن لا يفتقر تقدمه (تناميه) إلى ضرورة منطقيَّة بمعنى الكلم أي أنَّ الحجاج في أغلب الأحوال يستند إلى حجج منطقيَّة خاضعة إلى لغة العقل الَّتي لا تعدو أن تكون خيالية.

4- ليست نتائجه (خلاصاته) ملزمة؛ إنَّ جملة النَّتائج المتوصَّل إليها عادة أثناء الحجاج هي نتائج غير ثابتة بالضَّرورة ، والمستمع غير ملزم بالتَّقيُّد بها حتميًا، وإنَّما هي نتائج قابلة لنقاش مفتوح»[2].

وبهذا يتَّضح أنَّ إستراتيجيَّة الإقناع بالحجاج هي الإستراتيجيَّة الأصلح، والأفضل في خضمِّ الصِّراعات والمناقشات، وكثير من المجالات الأخرى، فقد أصبح مفهوم الإقناع مطلبًا أساسيًا في كل عمليَّة فكريَّة لأنَّه يُوظَّف في العلامات السِّيميائيَّة، باستثمار الثَّقافة الحديثة.

---

[1] - ينظر: الحجاج، مجلةعالم الفكر، علي حسين اليوحه، إشراف، عبد النبي ذاكر وآخرون العدد 2، أكتوبر، ديسمبر، 2011م، مج4، ص 124، 125.

[2] -ينظر: إستراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص458.

لقـــد ذكـــرت "هـــاجر مـــدقّن" في كتابهـــا "الخطـــاب الحجـــاجي" أنَّ للحجـــاج خاصِّـــيَّة المقام(♦)والتَّشخيص(♣)، كما يبدو الحجاج من خلال آلية الحوار أنَّه يفسح مجالًا أوسع لاستثمار المعطيات المتاحة للخطاب كما أنَّه يكشف لنا عن ظاهرة التَّنازع بين ذاتين باعتماده على الأفعال الطلبيَّة المتمثِّلة في: النِّداء، الأمر، النَّهي، وهي مبدأ حجاجي أساسه التَّواصل »[1].

وإضافة على هذا نجد أنَّ للحجاج سيمات أخرى من بينها: خاصِّيَّة التِّكرار من خلال آلية التَّناظر والتَّواصل، ذكرها "أحمد يوسف" في كتابه "لسانيات الخطاب وأنساق الثَّقافة" وهي :

أ) **من ناحية التَّناظر**: ظهر في شعر النَّقائض وتأسَّس على ثقافة الرَّد والإثبات، أو الرَّد والنَّفي، ففي حالة الإثبات قول الفرزدق:

«فَهَلْ أَحَدٌ يَابْنَ المَراغِيَّةَ هَارِبٌ *** مِنَ المَوْتِ إِنَّ المَوْتَ لاَبُدَّ نائِلُهْ**

فَإِنِّي أَنَا المَوْتُ الذِي هوَ ذَاهِبٌ ** بِنَفْسِكَ فانْظُرْ كَيْفَ أَنْتَ مُحَاوِلُهْ»**[2].

فيجيبه "جرير "بقوله :

«أَنَا الدَّهر يفني الموتَ والدَّهرُ خالدٌ ** فجئني بمثل الدَّهرِ شيئًا يطاولُه »**[3].

ويتبيَّن أنَّ التَّناظر في الأبيات السَّابقة ممثَّل في "الرَّدِّ والإثبات"، "فجرير" يرد على" الفرزدق " بعد أن أثبت "الفرزدق" لنفسه صفة القوَّة "أنا الموت..."، ثم الدَّعوة الصَّريحة إلى المناظرة الممثَّلة في فعل الأمر " فانظر"، فأثارت هذه الأبيات الرَّغبة في المناظرة عند" جرير ".

فأثبتت لنفسه هو الآخر(جرير) قوة أقوى من "الفرزدق" ممثَّلة في "الدَّهر": "أنا الدَّهر..."، ثم الدَّعوة الصَّريحة إلى المناظرة الممثَّلة في فعل الأمر "فجئني" أي؛ أن فكرتَا الموت عند"الفرزدق" والدَّهرعند"جرير"

♦ – شرط تداولي يعنى بضرورة موافقة أفعال القول لمقتضى الحال والموقف، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، هاجر متقن، قراءة في كتاب المساكين ل: الرافعي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1434هـ-2013م، 164، 165.

♣ – هو بناء لأفكار العباقرة والعلماء على لسان أبطال من نسج خيالهم، أو أخذهم من دائرة الواقع، مثل: أفلاطون اتخذ سقراط لمحاورته، المرجع نفسه، ص164، 165.

[1] – ينظر: المرجع نفسه، ص164، 166.

[2] – لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة عبد الفتاح أحمد يوسف الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط1، 1431هـ-2010م، ص108.

[3] – المرجع نفسه، ص109.

تتبـاين في سـياق متـوتر ينمّي رؤيـة كـلا الـشّاعرين لثنائيـات ضـدّيّة نحـو: الحيـاة/المـوت، القـوّة/الـضّعف البناء/الهدم فالموت قوة عند "جرير" وهلاكًا عند "الفرزدق"، ويزيد التّوتر قِمَّتَهُ في فعلي الأمر "فانظر" عند "الفرزدق" "وفجئني" عند"جرير" وهنا تتنامى فكرة التّجاوز عند كلا الشّاعرين وتعمق الإحساس بالذّات في مقابل انكسار الآخر»[1].

ب) **من ناحية التّواصل**: التّكرار في شعر النّقائض، يصرّح بخطاب لمرور خطابًا آخر، أويسمح التّكرار في شعر النّقائض باستحضار خطاب آخر بأشكال مختلفة ومتعدّدة، وقد تكون متناقضة ومن ثم يؤسس هذا الخطاب لثقافة التّواصل اللّساني، ونمثّل لهذه الخاصّيّة من خلال قولي "الفرزدق و جرير".

يقول "الفرزدق":[*].

« بِأَيِّ رثَاءٍ يَاجَرِيرُ ومَاتِحٍ**تَدَلَّيْتَ في حوْمَاتِ تِلكَ القَمَاقِمِ**
وَمَالَكَ بَيتُ الزَبَرْقَانِ وظِلُّهُ** وَمَالَكَ بَيْتُ عِنْدَ قَيْسِ بنُ عَاصِمِ**
وَلَكِن بَدَا لِذُّلِ رأسُكَ قَاعِدًا *** بِقَرقَرةِ بينَ الجِداءِ التَّوائِم»[2].**

فيجيبه "جرير"[°] بقوله:

«مَدَدْنَا رِثَاءً لاَيُمَدُّ لريبَةٍ** وَلاَغَدْرَةٍ في السَالِفِ المُتَقَادِمِ**
تَعَالَوْ نُحَاكِمْكُم وَفي الحَقِّ مَقنَعُ**إلىَ الفُرِّ من آلِ البِطَاحِ الأكارِمِ**
فَإِنَ قُرَيْشَ الحَقّ لنْ تَتْبَعَ الهَوىَ**وَلنْ يقْبَلُوا في اللَهِ لوْمَةَ لاَئِمِ»[3].**

نلاحظ من خلال خطاب "جرير "أنّه لم يحاول إزاحة خطاب "الفرزدق" فحسب، بل تواصل معه تواصلًا جدليًا، فسخريّة "الفرزدق" من "جرير" ظاهرة في قوله: "بأيِّ رثاءٍ..."، يقابلها"مددنا رثاءً..." عند "جرير"، فأصبح الجدل والتّوتر غالبًا على الخطابين، وهذا التّوتر يقوم بدور فعّال في صياغة ملامح

[1] – ينظر: الخطاب وأنساق الثقافة، عبد الفتاح أحمد يوسف، ص 109.

[*] – أبو عبيدة، نقائض جرير والفرزدق، القصيدة التي تحمل رقم(69)، الأبيات752، المرجع نفسه، ص113.

[2] – المرجع نفسه، ص113.

[°] – أبو عبيدة، نقائض جرير والفرزدق، القصدة التي تحمل رقم(53)، الأبيات ص446، المرجع نفسه ،ص115.

[3] – المرجع نفسه، ص113.

الخطابين، وارتباطهما بعضهما ببعض وتواصلهم معا، عن طريق العلاقة التَّنافسية الَّتي يعقدها أحد النَّصين مع الآخر، أو مع النُّصوص الأخرى، ولعلَّ من أهم خصائص التَّكرار الجوهريَّة، ترسيخ ثقافة التَّواصل»[1].

ووسم" أحمد المتوكِّل" الحجاج في كتابه" الخطاب وخصائص اللُّغة العربيَّة" «أنَّه يتباهى بحلَّته في أنواع الخطابات السِّياسيَّة، والدِّينيَّة، والعلميَّة، وغيرهما، كما أنَّه لا يكاد يخلو منها الخطاب الطَّبيعي بوجهٍ عام إلَّا أنَّ وجودها واستخدامها يبلغان درجتهما القصوى، ويشكلان بنية ذات نظام متواضع مصكوك، في خطابات معيَّنة كالمناظرة، والجدل، والمرافعة، والإتِّهام »[2].

وتتميَّز الحُجَّة عند"هاجر مدقَّن" بخاصِّيتين هما:

أ) **إفادة الرُّجوع أو القصد**: بمعنى الدَّليل الَّذي يجب الرُّجوع إليه للعمل به.

ب) **إفادة الغلبة** :إلزام الغير بالحُجَّة فيصير بذلك مغلوبًا»[3].

كما نجد آلية البرهان تتَّصف بأربعة خصائص تتمثَّل في مايلي:

1- **التَّواطؤ**: تكون ألفاظ صاحب البرهان الَّتي يستعملها، وقواعده الَّتي يصوغها خالية من اللُّبس الدَّلالي لتدلَّ الألفاظ على معانيها بوجه واحد لا ثانية له أي؛ تجنب اللُّغة الرَّمزيَّة الَّتي تتفرَّع عنها تأويلات وإيحاءات دلاليَّة غير واضحة وغامضة، أي تطابق الألفاظ مع المعاني .

2- **الصُّورية**: لا يستقيم الدَّليل على أصول البرهان إلَّا إذا كان بالإمكان رده، إلى جملة من الصِّيغ والتَّراكيب أي؛ لا يمكننا الجزم بأن تقول هذا دليل أو برهان إلَّا إذا استوفى السِّياق المناسب له.

3- **القطعيَّة**: يتضمَّن البرهان معنى القطع والجزم والإثبات.

4- **الاستقلال**: يستقل البرهان عن صاحبه ما إن ينتهي من صنعه، كما يستقل عن المخاطب به حتَّى ولو كان حاضرًا في تصوره وبناء قواعده»[4].

فالحجاج يفسح المجال أمام المتلقي لاستخلاص جملة من النَّتائج، ومن ثمة فهو يربط القضيَّة الأولى بالثَّانية حسب ذهنية المتلقي، وموقف الكلام، ومدى استيعابه للحجج المستعملة من قبل المتكلم، وردود

---

[1] – ينظر: لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، عبد الفتاح أحمد يوسف، ص113، 114.

[2] – ينظر: الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكل، الدار العربية للعلوم، دار الأمان، الرباط، ط1، 1431هـ-2010م، ص26.

[3] – ينظر: الخطاب الحجاجي، أنواعه وخصائصه، هاجر مدقن، ص71.

[4] – ينظر: المرجع نفسه، ص72.

أفعاله الممكنة، اتجاه مجموعة الأدلَّة المقدَّمة له، فالغاية من الحجاج ليس الصِّدق الدَّقيق ولا البرهنة القاطعة وإنَّما هي الإفحام والإقناع، أمَّا البرهان والاستنتاج فتأخذ صبغة الموضوعية التَّامة في صنع الحُجَّة والدَّليل الَّتي توجب الإلزام على المتلقي، فهي بذلك أقرب إلى المنطق الرِّياضي الَّذي يسعى إلى اليقينيَّة العلميَّة القطعيَّة.

وتذكر "سامية الدُّريدي"جملة من سمات النَّص الحجاجي ملخَّصة في النِّقاط التَّالية:

1- **القصد المعلن**: إنَّه البحث عن إحداث أثر ما في المتلقي أي ؛ إقناعه بفكرة معيَّنة وهو مايعبر عنه اللِّسانيون بالوظيفة الإيحائية (conative) للكلام وقد أدرك رجال الإشهار أهميَّة هذا الأمر، فنجحوا في استغلال هذا الشَّكل النَّاجح من أشكال التَّواصل.

2- **التَّناغم**: فالنَّص الحجاجي نص مستدل عليه، لذلك يقوم على منطق ما في كل مراحله ، ويوظف على نحو دقيق التَّسلسل الَّذي يحكم مايحدثه الكلام، من تأثيرات سواء تعلَّق الأمر بالفتنة أو الإنفعال »[1] أي الباث يعلن أمرًا ويذكر آخر، يختزل فكرة ويسهب بتحليل أخرى، يسأل ويجيب، بل قد يأتي بالفكرة الواحدة على أنحاء مختلفة، فيتجلى في نصِّه سحر البيان، وتتأكَّد فتنة الكلام.

3- **الاستدلال**: أي النَّص الحجاجي يخضع لتطور منطقي قائم على البرهنة، من خلال ترتيب العناصر اللُّغويّذَة ترتيبًا عقليًا يستجيب لنيَّة الإقناع.

4- **البرهنة**: تتمثَّل في تقنية الإقناع، كالأمثلة والحجج، بغية الوصول إلى ألطف وأجود فكرة وأنفذها»[2] بمعنى؛ النَّص الحجاجي يختلف عما سواه من جهة هدفه، الَّذي يمكن اعتباره —دون ريب- برهانيًا، فإذا كان قصده معلنًا واستدلاله واضحًا، وأفكاره مترابطة، فلأنَّه يحرص كل الحرص على الإقناع .

ونجد "حسين العمري" يذكر بعض الخصائص للمستوى الحجاجي والمتمثلة في :

أ)**الانسجام**: يعتبر الانسجام بمثابة الوتد الَّذي يسبب التَّرابط نحو: قوله-صلى الله عليه وسلم-: «انْتَفِعُوا ببيان الله واتَّعِضُوا بمواعِظِ الله واقبَلُوا نصيحة الله، فإنَّ الله قد أعذر إليكم بالجليَّة، وأخذ عليكم

[1] – ينظر: الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، ص26.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص27، 28.

الحُجَّة وبيَّن لكم مَحَابَّهُ من الأعمال، ومكارهه منها، لتبتغوا هذه وتجتنبوا هذه فإنَّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كان يقول إنَّ الجنَّة حُفَّت بالمكاره وإنَّ النَّار حُفَّت بالشَّهوات»[1].

ولقد اشتمل حديث النَّبي–صلى الله عليه وسلم – على مجموعة من الأوامر والنَّواهي لبني البشر فما أمر الله به وجب الإلتزام باتباعه، وما نهى عنه من الأفعال، فلا بدَّ من تركه ونفره، فالانسجام يتحقَّق من خلال ترتيب الوقائع والأحداث في الخطاب، مما يعطي فاعلية أكثر، في حين أنَّ إحداث أي خلخلة في هذا التَّصنيف يؤدي غالبًا إلى عدم الانسجام مما يصبح الخطاب دون حبكة.

فالمخاطب وهو في إلقاء خطابه على النَّاس يؤسِّس خطابه على طريقة واحدة، فلا يراعي المخاطبين فقط وإنَّما القوى الَّتي تَبْنِي المعنى داخل الخطاب، والَّتي تبعث فيه أجناس من الحركات والأقوال، لتصل به إلى تحقيق الانسجام والتَّواصل، ولذلك نرى من أخذَ في كلام مضطراً إلى أنواع من العمليات لا غنى عنها كالتَّفسير، والتِّكرار، والإستدراك وكل ذلك لأنَّ النَّص أو الخطاب يبني معناه لبنةً لبنةً، ويصل إلى تحقيق المقاصد الَّتي علقت به بعمليات متنوعة تخرج بالسَّامع في تحصيل من الخطية المطلقة وتحوجه إلى أن يكون فعل القراءة ،والفهم في مسارات متعدِّدة مختلفة »[2].

ب) **القياس**: ولعلَّ "أرسطوا" « أوَّل من أشار إلى هذا في مختلف أنواع الخطب، كما أنَّ القياس دعوة للعقل إلى التَّفاعل مع العالم الخارجي، لأنَّه يمكن أن يتسع ليشمل كل أنواع الاستقراء والاستنتاج الَّتي تقوم على الاحتماليَّة في بيان الحكم النَّاتج عنه»[3].

ومن أمثلة القياس في الخطاب العلوي قول الإمام علي: «...أيُّها النَّاس لو لم تَتَخَاذَلُوا عن نصرِ الحقِّ ولم تَهْنُوا عن تَوْهِينِ الباطل، لم يَطْمَعْ فيكم من ليس مثلكم، ولم يقْوَ من قَويَ عليكم، لكنَّكم تُهْتُمُوا متاه بني إسرائيل وَلَعُمْرِي ليُضْعَفُنَّ التِّيه من بعد أضعافًا، بما خلفتم الحقَّ وراء ظهوركم ، وقطعتم الأدنى ووصلتم الأبعد.. »[4].

---

[1] – الخطاب في نهج البلاغة، بنيته وأنماطه ومستوياته، دراسة تحليلية، حسين العمري دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص294.

[2] – ينظر: بلاغة الوفرة وبلاغة الندرة، مبحث في الإيجاز والإطناب، نقد أدبي، نور الهدى باديس، دار الفارس، الأردن، ط1، 2008م، ص96.

[3] – المرجع نفسه، ص310.

[4] – المرجع نفسه، ص312.

إنَّ ماجاء في قول علي –كرَّم الله وجهه– مايمكن أن نسميه بالقياس الفرضي، لأنَّه يدخل الفرضيَّة في الحجاج لإقامة الدَّليل، في بيان سلوك النَّاس، فقوله: (لَوْ لم تَتَخَاذَلُوا .... ولم تَهْنُوا...)، تعتبر مقدِّمة أُولى، وقوله: (... لم يَطْمَعْ فيكُم...ولم يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عليكم)، فهذا يمثِّل النَّتيجة الَّتي تنتهي إليها عمليَّة التَّخاذل والوهن وإفشاء الباطل، كما أنَّ قوله: (...لَكنَّكم تُهْتُمُوا متاهَ بني إسرائيل، وَلَعُمْرِي لَيُضْعَفُنَّ لَكُم التِّيه...)»[1].

وهي تعتبر مقدِّمة كبرى يبنى عليها هرميَّة الحجاج، إلى متاه بني اسرائيل وهو حقيقة وجوديَّة ، إلَّا أنَّ الخطاب العلوي حمل المتلقين على الصِّفة نفسها، وجعل تخاذلهم ووهنهم، بمثابة التِّيه، ويضحى الحجاج متميِّزًا بهذه الخصائص وفريدًا من نوعه، أمَّا الخطأ الَّذي لا يغتفر في الحجاج هو المصادرة على المطلوب، وهو رَبْطُكَ الحجاج بأطروحة تظن أنَّها صالحة ولكن السَّامع لا يميل إليها، فيصبح الحجاج بلا جدوى ويسقط الخطاب،كأنَّه لوحة نريد تعليقها عل مسمار لم يحسن تثبيته على الجدار .

وهذه الطَّبيعة الجداليَّة تعطي لهذا الخطاب خصوصيَّة على مستوى الآليات الموظَّفة في إنتاجه وعلى مستوى تلقيه، فتلقيه هذا النَّوع من الخطابات يثير لذَّة القراءة بشكل خاص لا تثيرها خطابات أخرى إنَّ هذا الخطاب يتحوَّل إلى نوع من الفرجة أحيانًا ومن هنا يكتسب متعة، وأناقة، ورونقًا، وجمالًا.

أهمية الحجاج وأهدافه:

ورد في كتاب "الحجاج رؤى نظريَّة ودراسات تطبيقيَّة" «أنَّ الغاية المثلى من كل تواصل إنساني هي الدَّعوة إلى الإقناع، أو بالأحرى الاقتناع بقضيَّة ما، أو بفعل ما، أو بفكرة ما، فالتَّواصل محاجَّة تهدف إلى عقد علاقات اجتماعيَّة متينة بين أفراد العشيرة اللُّغويَّة فتقوم المحاجَجَة على ثلاثة مصادر هي:

1- ثقافتنا وتاريخنا وكفاءاتنا التِّقنيَّة.
2- طريقة تفكيرنا (العادات الاستدلاليَّة، والمنطق، والنَّماذج الرِّياضية والتَّجريب).
3- خاصيتنا الإنفعاليَّة (العواطف والأحاسيس) »[2].

وهذا يعني أنَّ للحجاج دورًا في تحقيق التَّبليغ والتَّواصل، وتبادل الخبرات والمعارف، والأفكار، على اختلاف أنواعها بين المجتمعات، فالهدف منه لا يكون في استنباط نتائج بعض المقدِّمات بقدر ما يكون في إثارة موافقة المستمع للأطروحات الَّتي يتمُّ تقديمها، لذلك لا يمكن أن تجرى العمليَّة الحجاجيَّة من فراغ

[1] – ينظر: الخطاب في نهج البلاغة، بنيته وأنماطه ومستوياته، حسين العمري، ص312، 313.
[2]– ينظر: الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، حسن خميس الملخ وآخرون، ص4.

بل تقتضي اتصال الخطيب والمستمع، وأن يكون الخطاب مسموعًا، أو مقروءًا في حالة الكتابة، وإلَّا غاب مفهوم العمليَّة الحجاجيَّة، وحتَّى في الحالة الَّتي يكون فيها الخطيب هو المستمع نفسه، فإنَّ الأمر يتطلَّب اتصالًا»[1].

كما نجد "عبد الهادي بن ظافر" يشير إلى إستراتيجيَّة الإقناع بوصفها تحقِّق الهدف الخطابي في كثير من الخطابات، إلَّا أنَّها لم تجد في الثَّقافة العربيَّة ما يكفي من الاهتمام بعد"الجاحظ"، وذلك في المستوى النَّظري، بل ذهبت الدِّراسات البلاغيَّة إلى مناحٍ شكليَّة أخرى، وقد جنى هذا الاختزال كثيرًا على البلاغة إذ جعلنا ننسى الجانب التَّداولي المرتبط بنظريَّة الإقناع المعبر عنها (بالمحاججة، والمخاصمة والمنازعة والمجادلة، والمناظرة، وغيرهم) »[2].

ومن هنا تأتي أهميَّة دراسة الإقناع بوصفه هدفًا وإستراتيجيَّة في آن واحد، كما أنَّ للحجاج أهمية تكمن في كونه بديلًا عمليًا لكثير من وسائل الإرغام، وبوصفه التَّجلي الأساسي للبلاغة، أضحى خير آلية يتسلَّح بها المبدعون، والسِّياسيون، وهذا ماجعل الحجاج الرَّكيزة في كثير من العمليات الثَّقافيَّة، ولقد كان الأمر كذلك عند القدماء أيضًا، وتبلور في شتى العلوم، ولم ينحصر في هذه العلوم فقط، فالحجاج يحثُّ على ترجيح خيار من خيارات قائمة وممكنة أي هو؛ فعل دفع من جهة وفعل إبعاد من جهة أخرى، أو (تفريغ وملء)؛ تفريغ الذِّهن من كل الاقتناعات السَّابقة، وملئه بما يراد من حجج وإثباتات .

والمحاورة والمجادلة تتطلَّب أخلاقًا يلتزم بها المتجادلون، كصبر المتحَاور على محاورِه، لو تجاوز عليه في شيء من الأمور الَّتي لا يحق له التَّجاوز فيها، في حين أنَّ الصَّبر خلق إسلامي،فاضل حثَّ عليه القرآن الكريم، ومن الأمور الَّتي ينبغي للمتحاور أن يحرص على الاتِّصاف بها، أن يكون رحيمًا، يرحم المقابل له لأنَّه يرغب أن يكون ذلك المتحاور متَّصفًا بالخلق الفاضل، فهو في هذه الحالة يحاوره لا انتصارًا لنفسه وإنَّما رغبة في الأجر الأخروي»[3].

---

[1]– ينظر: الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، حسن خميس الملخ وآخرون، ص 4.

[2] – ينظر: إستراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص454.

[3] – ينظر: أدب الحوار، سعد بن ناصر الشثري، تع،عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، دار كنوز إشبيليا الرياض، ط1، 1427هـ– 2006م، ص33.

وإن لم يكن المتحاوران يتَّصفان بهذه الصِّفة فربَّما يكون الحجاج سببًا مباشرًا في دفعهم إلى التَّحلي بهذه الصِّفة الَّتي لم يتَّصف بها إلَّا ذوي الخصال الطَّيِّبة، كالأنبياء، كما أنَّه صفة لأهل الايمان الَّذين ينصحون ولا يفضحون.

ويتحدث"عز الدِّين النَّاجح" عن أهم عنصر لا بدَّ له أن يتوفر في الدَّائرة الحجاجيَّة وهو الموضع فيقول: «مثلما أنَّه لا يمكن الحديث عن المنطق دونما الحديث عن ضروب الأقيسة الَّتي يقوم عليها، فإنَّه لا يمكن الحديث بحال من الأحوال عن الحجاج دونما حديث عن المواضع، كيف لا وقد عرَّفها" شيشرون "بكونها" مخازن الحجج" في حين ألحَّ أرسطو على أنَّها "مايجب حسن امتلاكه" حتَّى يصلح الحجاج ويحقِّق الملفوظ وظيفته»[1].

أي؛ لا بدَّ أن يتوفر في بوتقة الحجاج المقام المناسب والمقال المناسب، والعبارات المناسبة، واللَّفظ المناسب، والأساليب المناسبة، حتَّى يصبح حجاجًا ذا موضع ملائم يعصف عقول الجماهير ويشد انتباهها، فلا حجاج بدون مواضع، وزئبقيَّة الموضع أي؛ صلاحه في مكان ما في زمن ما وفساده في مكان آخر في زمن آخر، هو الَّذي يكسبه صفة القطعيَّة وقيام الحجاج عليه، ونمثِّل لهذه الأهميَّة على النَّحو الآتي:

1-«عجِّل فإنَّ السَّاعةَ تشيرُ إلى التَّاسعةِ ونصف.

2- إنَّما هي التَّاسعة ونصف فالطائرة قريبًا ستقلع»[2].

فالموضع في المثال الأول يحتمل الإقرار بعدم إضاعة الوقت، ويقابله المثَل القائل "الوقت كالسَّيف إن لم تقطعه قطعك، أو الوقت من ذهب"، وهذا المعنى المقصود في المثال راجع إلى استخدام المحاجج لبناء كلامه فعل أمر+ مؤكِّد، أمَّا الملفوظ الثَّاني فعمليَّة الصَّرفم "إنَّما" فالمركزي في الملفوظ ليس نظمه والوحدات المعجمية الَّتي تكونه إنَّما حجاجيته تكمن في قوَّة الموضع الَّذي يجعله صالحًا حجاجيًا لإقناع المتقبل وكدليل على ذلك .

ويلخص "عز الدِّين النَّاجح" قيمة المواضع وأهمية ورودها في الحدث الحجاجي، في كونها عنصرًا أساسيًا في المعادلة الحجاجيَّة، وبدونها لا يحقِّق المتكلم ملفوظه أي؛ (هدفه الحجاجي)، فلا يمكن الحديث

[1] – العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح، صفاقس، ط1، 2011م، ص98.

[2] – المرجع نفسه، ص99.

عـن المنطـق دون قياس،كمـا أنَّـه لايمكـن الحـديث عـن الحجـاج دون مواضـع، ويؤكِّـد دورهـا في الحجـاج وظيفتها الاستدلاليَّة البنيويَّة(*)، ووظيفتها الخطابيَّة التَّلفظيَّة(♦).

يرى "صابر الحباشة" «أنَّ هدف الحجاج يرمي إلى التَّأثير في الجمهور وأوَّل المعايير الَّتي نقيس بها الخطاب هو نجاعته، في حين لا يمكن أن نهمل نوعيَّة الجمهور الَّذي يتوجَّه الخطاب إليه»[1].

ويعني هذا أنَّ الهدف الرَّئيسي للحجاج يكمن في عامل التَّأثير والجذب فنجاعة الخطاب تقاس بمدى تأثر الجمهور وتجاوبه مع النَّص الخطابي، مع مراعات مستوى ونوعيَّة الجمهور حتى يتحقَّق التَّفاعل.

وأيضًا تكمن أهميَّة الحجاج عند"سامية الدُّريدي" في أنَّه «لا يقتصر على الاستدلال العقلي، بل يتجاوز ذلك ليشمل الحجاج اللُّغوي الخالص ذاك الَّذي ينبع في اللُّغة باعتباره خاصِّيَّة كامنة فيها فيتشبع به نسيج النَّص »[2].

أي؛ أنَّ للحجاج دورًا بالغًا في نسج وحبك الخطاب اللُّغوي، حيث تصبح اللُّغة دمية يحرك خيوطها الحجاج، باعتباره يهجِّن تلك اللُّغة الاعتباطيَّة العقليَّة غير المبررة، فالحجاج يهتم ببنية المعنى العميق داخل الخطاب، فيظهر ذلك المخزون اللُّغوي على بساط الحجاج بأبهى أساليبه اللُّغوية، ويتَّضح النَّص وتُرتَسمُ الصُّورة في ذهن المتلقي،وتصل المقاصد من الأقوال وتُفهَمُ وَتُذعَنُ الأذهان وتقتنع .

ويرى"عبد الهادي بن ظافر الشَّهري" أنَّ أهميَّة الحجاج تتجلى «في كل مايولِّده من اقتناع لدى المرسِل إليه، الَّذي لا يتأتى له إلَّا باستعمال اللُّغة، مما يؤكِّد نظريَّة الحجاج في اللُّغة، ويرى أنَّها تنطلق من فكرة مفادها أنَّنا نتكلَّم عامَّة بقصد التَّأثير، وأنَّ الوظيفة الأساسيَّة للُّغة هي الحجاج وأنَّ المعنى ذو طبيعة حجاجيَّة»[3].

---

* – وهي على ضربين إمَّا أشكال فارغة وإمَّا أفكار عامة، والملاحظ أن المواضع متى كانت أشكالًا فارغة كانت ذات قيمة استدلاليَّة في الملفوظ، العوامل الحجاجية في اللُّغة العربية، عز الدين الناجح، ص100.

♦ – وتكمن فيما توفره للملفوظ من تسلسل وترابط في الخطاب وانسجامه، المرجع نفسه، ص102.

[1]– التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صابر الحباشة عاصمة الثقافة العربية، دمشق، ط1، 2008م، ص70.

[2] – الحجاج في الشعر االعربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، ص55.

[3]– إستراتيجية الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص447.

وبهذا فإنَّ المرسل لا يعمد من خلال الحجاج إلى مجرد انفعالات المرسل إليه، أو دغدغة عواطفه، أو التَّحايل عليه وإيهامه ومغالطته، وأنَّ الإقناع من جهة المرسل قد يحصل بوسائل أخرى؛ نحو التَّلويح بالتهديد والابتزاز والوعد والوعيد، ويكون هذا بجانب توظيف العقل بما يتناسب مع ما يقتضيه الخطاب الطَّبيعي.

وقد ذكر "نبهان حسُّون السَّعدون" أنَّ الحوار يحقِّق عدَّة وظائف كتصوير الشَّخصية، وتطوير الأحداث وتقديم الجو أو الحالة، كما أنَّه يعد أداة طبيعيَّة لرسم الشَّخصيات والكشف عن طبيعتها وموقعها ويعمل على كشف عنصر الزَّمكان، باعتبارهما إطار للحدث والشَّخصية »[1].

4- أدوات الحجاج:

لما كانت للُّغة وظيفة حجاجيَّة، وكانت التَّسلسلات الخطابيَّة محدَّدة بواسطة بنية الأقوال اللُّغويَّة وباعتماد العناصر والمواد الَّتي تمَّ تشغيلها فقد احتوت اللُّغات الطَّبيعيَّة على مؤشرات لغويَّة خاصَّة بالحجاج، فاللُّغة العربيَّة مثلاً: تشتمل على عدد كبير من الرَّوابط، والَّتي تشترك جميعها في إثبات القطع مع ماسبقها أو نفيه من جهة، وإثبات ما لحقها وتأكيده من جهة ثانية، فحظورها في موضع معيَّن من النَّص إنَّما يشي بالخلاف، ويؤكِّد أنَّ العلاقة الحجاجيَّة المعتمدة إنَّما هي علاقة عدم الإتِّفاق ونذكر من هذه الأدوات ما يلي : (لكن، بل، إذن، حتَّى، لاسيما، إذ، لأن، بماأنَّ، ربَّما، إنَّما، ما، إلَّا...، التَّوكيد أفعال الكلام، الأفعال الإخباريَّة، كالاستفهام، والأفعال الإنشائيَّة، كالأمر ،والنَّهي...الخ).

ورد في كتاب"اللُّغة والحجاج" «أنَّ العوامل الحجاجيَّة لها أنماط عديدة:

أ) **الرَّوابط المدرجة للحجج**: (حتَّى، بل، لكن، مع، ذلك، لأنَّ...)، والرَّوابط المدرجة للنَّتائج: (إذن لهذا، وبالتالي...).

ب) الرَّوابط التي تدرج حججًا قويَّة: (حتَّى، بل، لكن، لاسيما...)

ج) **روابـط التَّعـارض الحجـاجي**: (بـل،لكن، مـع، ذلـك...) وروابـط التَّـسابق الحجـاجي (حـتَّى لاسيما...)»[2].

---

[1]- ينظر: مجلة الحوار في القصة القرآنية، قصَّة موسى –عليه السَّلام– أنموذجا، نبهان حسون السعدون يوسف سليمان الطحان، كلية العلوم الإسلامية جامعة الموصل، 2008م ،ع74، مج7، ص1، 3.

[2]- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع الدار البيضاء، ط1، 1426هـ-2006م، ص31.

ومن خلال دراسة "أبي بكر العزَّاوي" "للظَّاهرة الحجاجيَّة"، تعرَّفنَا على أنَّ للحجاج روابط تحكم سياقاته الحجاجيَّة وتصنف هذه الرَّوابط حسب أنماط عديدة من حيث القوَّة، والضُّعف والتَّعارض الحجاجي، وذلك من خلال السِّياق الَّذي يرد فيه، رابط معين من هذه الرَّوابط.

وتمثل "سامية الدُّريدي" لبعض من الرَّوابط المتمثِّلة فيما يأتي: الرَّابط "لكن"، نحو قول "عبد الله بن العباس"(*):

«ولَيْسَ الذِّي يجري مِنَ العينِ مَاؤُهَا *** وَلكنَّهَا رُوحٌ تَذُوبُ فَتَقْطُرُ»**[1].

فالرابط "لكن" قد ربط بين الصَّدر والعجز، لا رابطًا نحويًا فحسب بل ربطًا حجاجيًا بموجبه غدت نقطة الفصل، بين دليلين، أحدهما ورد قبلها والثَّاني جاء بعدها، وأكَّدت أنَّ الدَّليل الثَّاني أقوى حُجَّة من الأول، بحيث يوجه البيت بكامله إلى نتيجة في القول يقصدها دون سواها: فالأوَّل اِدِّعاء بأنَّ الدُّموع روح المرء تذوب فتقطر، والغلبة للثَّاني، جليَّة في الاستدلال على نتيجة هي: إثبات التَّأزم وتأكيد التَّفجع والإستدراك إذ ليس بعد ذوبان الرُّوح شيئ»[2].

الرَّابط "بل " ، نحو قول" جرير":

«قال العواذلُ قد جهلت بحبها ***بل من يلومُ على هواكَ جهولُ »[3].

فما يأتي بعد هذا الرَّابط يوجه الكلام برمَّته، بحيث تكون نتيجة للخطاب الحجاجي، فادِّعاء العواذل أنَّ الحبَّ قد قاده إلى الجهل ردَّه الشَّاعر حين جعل الجهل في لوم المحِبِّ على حبِّه، وهنا تحديدًا تلوح نتيجة الخطاب بيِّنة لا لبس فيها، إنَّها الدِّفاع عن المحب باعتبار الحب قدرًا لا يختاره المرء ، ولا يملك أن يفر منه، من الجهل أن يلام ، ومن الظُّلم أن يعاتب، فالرَّابط"بل" لا يقدم الثَّاني عن الأول بل ينفي

---

* – هو عبد الله بن العباس بن الفضل بن الرَّبيع والرَّباع –على مايدَّعيه أهله– ابن يونس بن أبي فروة، كان شاعرًا مطبوعًا، حسن الرِّواية حلو الشِّعر، شعره مطبوعًا طريفًا، الأغاني، مج 19، الحجاج في الشعر العربي القديم، سامية الدريدي، ص164.

[1]– المرجع نفسه، ص348.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص348.

[3]– المرجع نفسه، ص378.

الأول ويقصيه تمامًا ليثبت الثَّاني»[1]، ونحو قوله تعال : ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾[2].

فقد صرَّح "وهب بن مصطفى الزُّحيلي في تفسيره "الوسيط" أنَّ ثمة علاقة بين الحُجَّة وهي (مجيء إخوة يوسف بقميص ملطَّخ بالدَّم وهم يبكون)، والنَّتيجة المقصودة وهي (إقناع أبيهم بأنَّ الذِّئب قد أكل يوسف)، مع أنَّهم أحسُّوا بضغف حجَّتهم، حينما قالو: (ولو كنَّا صادقين)أي؛ ولو كنَّا من أهل الصِّدق والثِّقة عندك»[3].

أمَّا العلاقة الحجاجيَّة الفرعيَّة الثَّانية فتسير في اتِّجاه النَّتيجة المغالطيَّة والمضادة أي؛ بَينَ الحجة القويَّة يأتي:

كما بيَّن "الطَّاهر بن عاشور" في تفسيره "التَّحرير والتَّنوير" الرَّابط "بل" في قوله تعالى: (بل سوَّلت لكم أنفسكم أمرًا)، أنَّه حرف إضراب أفاد إبطالًا لدعواهم أنَّ الذِّئب أكله (يوسف)، فقد صرَّح لهم بكذبهم بدليل وحُجَة التَّسويل، والتَّسويل هو التَّسهيل وتزيين النَّفس، ما تحرص على حصوله»[4].

فالرَّابط الحجاجي"بل" وضَّح وفسَّر حُجَة الإخوة المخادعين الغادرين، وذلك أنَّ الذِّئب قد أكل "يوسف" نتيجة يعقوب –عليه السَّلام– مضادَّة للنَّتيجة السَّابقة، وهما نتيجتان متضادَّتان تخدمان بعضهما البعض، فالنَّتيجة الَّتي بعد "بل" حُجَّة ودليلٌ قاطع وأقوى، وبالتَّالي تصبح نتيجة القول برمتها.

ويضرب لنا"عز الدِّين النَّاجح" مثالًا عن الرَّابط الحجاجي "حتَّى" ولبيان هذا الأمر يمكن دراسة الأمثلة التَّالية:

«مَاتَ النَّاسُ حتَّى الأنبياء .

كل إنسان خطَّاء حتَّى العلماء.

---

[1] – ينظر: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، ص351.

[2] – سورة يوسف، الآية : 17.

[3] – ينظر: الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1422هـ، ج2، ص1097،1096 .

[4] – ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984م، ج12، ص238.

فالعامل "حتَّى"في الملفوظ يساعد على تقوية إيقان المتقبل بالنَّتيجة بل إنَّ العامل قبل ذلك يرسم له صورة المسلك الَّذي ينبغي عليه أن يقطعه للوصول إلى النَّتيجة، وهو في أثناء ذلك كله يقوِّي النَّتيجة الَّتي يروم الملفوظ ايصالها »[1].

أي أن مايسبق "حتَّى" ومايليها يجب أن تحكمه علاقة الجزء بالكل، فمايأتي قبلها أضعف أثراً في ايصال النَّتيجة في حين أنَّ مايليها أقوى نجاعة في الحجاج، وكل هذا من جراء أنَّ الجزء أكثر إقناعًا لدقَّته من الكل، وأنَّ العام لغموضه أقل نجاعة من الخاص أي؛ مات النَّاس← كل(عام)، حتَّى الأنبياء ← جزء(خاص)، وما يوجد قبل "حتَّى" يمكن اعتباره حُجَّة أولى، ومايوجد بعد حتَّى حُجَّة ثانية، لكن الحُجَّة الثَّانية أقوى أثرًا في التَّوجيه الحجاجي من الحُجَّة الأولى .

يقول "جرير" مفاخرًا:

«ومازالت القتلى تمور دماؤها * بدجلة حتى ماء دِجْلَةَ أَشْكَلُ

لنا الفضل في الدُّنيا وأنفكَ راغمُ * ونحن لكم يوم القيامة أفضلُ»[2].

وهنا الشَّاعر يفاخر بفروسيَّة قومه، وشدَّة بأسهم، والحُجَّة الأولى كثرة القتلى في صفوف أعدائهم ويعطف على هذه الحُجَّة بحُجَّة أخرى بالرَّابط "حتَّى"، والحُجَّة الثَّانية هي تغير ماء دجلة من كثرة سفك الدِّماء فيها، "فحتَّى" أفادت الرَّبط بين حجتين، فالدَّليل الأول لفائدة نتيجة الخطاب، تمثَّل في شجاعة القول، والثَّاني خدم نفس النَّتيجة فاشتركَا تبعاً لذلك في الوجهة الحجاجيَّة، إلاَّ أنَّ الثَّاني مثَّل إضافة هامَّة للعبارة ككل من حيث الطَّاقة الحجاجيَّة.

ويقول "أحمد مطر"(*): في قصيدته "**العلَّة** "مضمِّنًا فيها الرَّابط "لكن".

«قالَ لي الطَّبيب.

خُذْ نفسًا.

فكدت–من فرطِ اختناقِ.

---

[1]– العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح، ص134.

[2]– الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنته وأساليبه،سامية الدريدي، ص355.

* – هو شاعر عراقي له ديوان(لافتات 2)، الصادر بلندن سنة 1987، الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص62.

بالأسى والقهر– أستجيب.

لكنَّني.

خشيت أنْ يلمحني الرَّقيب.

وقال: ممَّ تشتكي؟.

أردت أن أجيب.

لكنَّني.

خشيت أنْ يسمعني الرَّقيب.

وعندما حيرته بصمتي الرَّهيب.

وجَّه ضَوءًا باهرًا لمقلتي .

حاول رفع هامتي.

لكنَّني.

خفضتُها.

وَلُذْتُ بالنَّحيب.

قلت له: معذرة ياسيدي.

الطبيب أَوَدَّ أنْ أرفع رأسي عاليًا.

لكنَّني.

أخاف أنْ...يحذفه الرَّقيب»[1].

استعمل الشَّاعر الرَّابط الحجاجي "لكن" ليربط بين حُجَّة سابقة وأخرى ناقضة أو مضادَّة لها، وهذه الحُجَّة تتمثَّل في قول الشَّاعر: "خشيت أنْ يلمحني الرَّقيب"، تكون النَّتيجة إذَّاك هي أنَّ المريض لن يأخذ نفسًا، وأنَّه عاجز عن ذلك، فالحُجَّة الَّتي ترد بعد "لكن" تكون أقوى حجاجيًا، وأنَّها توجِّه القول برمته.

أفعال الكلام: (Actes de langage).

[1]– الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص55.

«لقد جاءت نظريَّة أفعال الكلام(*)التَّداولية، لتغيِّر تلك النَّظرة التَّقليديَّة للكلام ونظرت إلى اللُّغة باعتبارهَا قوَّة فاعلة في الواقع ومؤثِّرة فيه، فألغت الحدود بين الكلام والفعل، فأيَّة معلومة حسب"**باغتين**" تقدم لشخص ما مثارة بواسطة شيء ما وتسعى لتحقيق هدف ما، فهي حلقة ضمن سلسلة التَّبادل الكلامي الدَّائر في فلك الحياة العادية للنَّاس»[1].

أي؛أنَّ أفعال الكلام ضروريَّة في بناء وتقوية وفاعليَّة النَّص الحجاجي، فهي الَّتي تضفي على لغته صبغة التَّأثير كما أنَّ نظريَّة أفعال الكلام ركَّزت على اللُّغة وجعلتها وظائف تداوليَّة مرتبطة بقصد المخاطب، وأبرزها الوظيفة الحجاجيَّة الَّتي زادت من الفاعليَّة الإنجازيَّة ، من خلال عاملي(التَّأثير والتَّأثر).

ومن الأفعال الإخباريَّة "أسلوب الاستفهام" (كالهمزة، وهل، ومَا، ومَنْ، ومتى، وأيَّان، وكيف...)،نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩ ﴾ [2].

والاستفهام هنا إنكاري، فإن مجموع المتحدث عنهم ساروا في الأرض فرأوا عاقبة المكذِّبين مثلًا "عاد وثمود"وهذا اعتراض بالوعيد والتَّهديد، واستخدامه (الاستفهام) مرتبط بطبيعة المخاطبين من منكرين ومؤمنين بل إنَّ المنكرين لم يكونوا على درجة واحدة، فهناك من يؤمن بعد التَّوبيخ وهناك من يلزمه التَّوبيخ والتَّخويف والتَّهديد»[3].

فالاستفهام –كما هو واضح – يلعب دورًا كبيرًا في الإقناع وخاصَّة في العمليَّة الحجاجيَّة نظرًا لما يعمله من دفع المتلقي إلى فعل الاستدلال، كما يؤدي عملًا أساسيًا في الإقناع، وبالحُجَّة، فمن النَّاحية

---

* - الفعل الكلامي: هو فعل التلفظ بصيغة ذات صوت محدد وتركيب مخصوص ودلالة معينة، وقد يترجم إلى فعل النطق/الفعل التكلمي: هو فعل التواصلي الذي تؤديه هذه الصيغة التعبيرية في سياق معين، وقد يترجم إلى فعل الإنجاز، أوستين نظيرة أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، دط، 1991م، ص115.

[1]– دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، مقاربة تداولية، مجلة الخطاب، حكيمة بوقرومة، جامعة تيزي وزو،ع3، 2008م، ص11، 12.

[2]– سورة يوسف، الآية : 109.

[3]– ينظر: صفوة التفاسير، محمد على الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1417هـ-1997م، ج2 ، ص64.

الحجاجيَّة إذا أمعنا فيه النَّظر، نجد أنَّه يحمل قوَّة حجاجيَّة بصدى التَّوبيخ والتَّهديد،كما له مقاصد تتمثَّل في التَّأثير على أفكار المتلقي وأفعاله، وجعله يخضع لأوامر الله، فالحُجَّة في الاستفهام الأول قرع بها الله تعالى أسماع هؤلاء الكفار المكذبين أنَّ عذاب الله وعقابه واقع، والحُجَّة في الاستفهام الثَّاني دعوتهم أن ينظروا إلى مصارع الأمم المكذبة لأنبيائهم فيعتبروا»[1].

والهدف منها يفضي إلى نتيجة ضمنيَّة واحدة هي إقناع هؤلاء المكذبين بأنَّ نعيم الآخرة أكمل من نعيم الدُّنيا وأبقى وأخلد، فلو عقلوا ذلك (الكافرون) لآمنوا بالله.

1- الأمر:

يعدُّ أسلوب الأمر من الأساليب الإنشائيَّة الَّتي ورد ذكرها في القرآن الكريم كثيرًا، ويعدُّ من الخصائص اللُّغويَّة في الجدال بين الأنبياء وأقوامهم وهو مايطلب حصول شيء على وجه الاستعلاء والإلزام، ويسمى أمرًا حقيقيًا وله صيغ أربعة نذكر إحداها»[2].

فعل الأمر، نحو قوله تعالى على ألسنة أنبيائه، "نوح، وهود، وثمود، وشعيب" : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾[3].

فالأمر هنا لعبادة الله دون غيره، لأنَّ هذا الغير من المعبودات وأنَّ العبادة لا تكون ولا تصح إلَّا بالتَّوحيد والأمر(اعبدوا)، أفاد الطَّلب لأنَّ "نوحًا"-عليه السَّلام- يحاور قومه طالبًا منهم عبادة الله، فهذا الفعل عكس التَّفاعل الَّذي يقتضيه تبادل الحديث بين اثنين أو أكثر»[4].

2- النَّهي.

---

[1]- ينظر: المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة مصطفى الزحيلي، دار الفكر، ط1، 1422، ج13، ص88.

[2]- الجدل في القرآن الكريم، خصائصه ودلالاته، جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجا -دراسة لغوية دلالية- رسالة ماجستير، يوسف عمر العساكر، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، 2004 م-2005م، ص97.

[3]- سورة الأعراف، الآية : 59.

[4]- ينظر: الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي(333هـ)، تح ،مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ - 2005م، ج4، ص468.

النَّهي: «هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، والنَّهي صيغة واحدة هي المضارع المقرون بلا النَّاهية»[1]،نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[2].

ويفسِّر "الطَّبري"(**ت310هـ**) معنى هذه الآية أنَّ الله –سبحانه وتعالى– ينهى ويكف عبده المؤمن عن تتبع عيب أخيه والتَّطلُّع على سرِّه والكشف على عوراته،فتكرار أسلوب النَّهي في خطابه –جلَّ وعلا– أفاد التَّأكيد على المنع والرَّدع عن هذه الأفعال الآثمة (سوء الظَّن، الغيبة، النَّميمة، والتَّجسُّس) »[3].

3– التِّكرار.

يعتبر أسلوب التِّكرار (التَّكرير أو المعاودة)، من أبرز الأساليب الحجاجِيَّة اللُّغويَّة، الَّتي يقدِّمها المتكلِّم لفائدة أطروحة ما.

ورد في الحديث عن "أبي هريرة" – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «ألَا أَدُلُّكمْ على ما يمحو الله به الخطَايَا ويرفعُ به الدَّرجات ؟ قالوا: بلَى يارسول الله قال: إسباغُ الوضوء على المكاره وكثرة الخُطاَ إلى المساجد وانتظار الصَّلاة، فذلِكُمُ الرِّباطُ، فذلِكُمُ الرِّباطُ ...»[4].

أفاد أسلوب التِّكرار في "الحديث النَّبوي الشَّريف" تقويَّة الفكرة والهدف لتبقى في ذهن المخاطب تتفاعل مع عقله ومشاعره، فلجأ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى تكرار العبارة في موقف واحد لبيان أهميَّة ماذكر ولفت الانتباه إليه، كما أنَّه قصد استفتاح حديثه بأسلوب التَّوكيد (ألَا) في صيغة استفهام، بغرض التَّشويق والجذب ليلمِّح إلى أمور يمحو بها الله الخطايَا، ويرفع الدَّرجات، وهذه الأمور فضل إسباغ الوضوء على المكاره ثم ثَنَّى بكثرة الخطى إلى المساجد، لتتمَّ انتظار الصَّلاة بعد الصَّلاة»[5].

---

[1] – البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب، حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جمهورية العراق، ط2 ،1420هـ– 1999م، ص129.

[2]– سورة الحجرات،الآية:12.

[3]– ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبي جعفر الطبري (ت310هـ)، تح، أحمد محمد شاك، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ –2000م، ج 22، ص 304.

[4]– صحيح مسلم، حديث رقم(369)، كتاب الطهارة، باب إسباغ الوضوء على المكاره، الإمام النووي، رياض الصالحين، رقم: 131، ص72.

[5]– ينظر: المصدر نفسه ، ص72.

وجاء هذا التّكرار ليوسّع هذا المعنى تحصيلًا للأجر والقيمة عند الله تعالى (فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ)؛ إذاً الرِّباطُ معناه الجهاد لأنَّ الطَّريق الموصلة إلى النَّصر والفوز هو تعويد النَّفس على ماذكره الحديث، لأنَّ من لا يلتزم بما ذكر لا يمكنه أن يضحّي بالنَّفس في سبيل الله، فمعنى الحديث بأكمله أنَّ الرَّسول- صلى الله عليه وسلم- يدعو إلى المواظبة على الطَّهارة والصَّلاة والعبادة، والجهاد في سبيل الله»[1].

إنَّ للرَّوابط والعوامل الحجاجيَّة عمل جليٌّ في بناء وتقويَّة النَّص الحجاجي لأنَّها تكشف لنا عن ظاهرة التَّنازع بين ذاتين، كما تؤدي الأفعال الطلبيَّة إلى مستوى دلالي أكبر هو "فعل الكلام" ذو الطَّبيعة الشَّاملة أو فعل الكلام الجامع (macro de langage)، وهو فعل السُّؤال الَّذي يعكس هاجس ثقافة السُّؤال، وهاجس اللُّغة الَّتي بها الحوار، وبها السُّؤال، وبها الجواب، وأساس العوامل والرَّوابط في التَّواصل،كما أنَّها تلفت انتباه المتلقي إلى المعنى المحيط بالسِّياق .

ولها دور في تأدية المعنى وانسجام الخطاب، فوظيفتها تنحصر داخل اللُّغة بذاتها والمتمثِّلة في الرَّوابط (بل، حتَّى....والأمر، الاستفهام، والنَّهي، والتِّكرار...)، والرَّوابط والعوامل الحجاجيَّة كثيرة ومتنوعة إلَّا أنَّنا لم نذكرها جميعها فقد أشرنا إلى البعض منها، وبعد حديثنا الموجز عن بعض الرَّوابط، والعوامل الحجاجيَّة ومدى اسهامها في ترابط العمليَّة الحجاجيَّة، نَتوجَّه الآن إلى عنصر آخر في الحجاج.

المبحث الثالث: آليات الحجاج.

من الأقوال الشَّائعة الَّتي يردِّدها الكثير من اللاَّدينيِّين، أنَّ الأديان تقوم على جملة من الأفكار، الَّتي لا يستقيم الإيمان إلَّا بالتَّسليم بها وأنَّ التَّوقفَ عند هذه الأفكار، ومدى صحَّتها ينتقض الإيمان، بينما العلم على العكس من ذلك.

فالفكرة فيه ماهي إلَّا فرض يظلُّ موضع شكٍّ وتساؤلٍ قابل للأخذ به أو دحضه، والَّذي يفصل في ذلك هو التَّجربة والحوار والنِّقاش، والجدل، والتَّناظر، والبرهان...، وما إلى ذلك من أساليب الحجاج وآلياته.

وليس هدفنا من هذا توجيه اِتِّهام جائر للفكر الدِّيني وإنَّما غايتنا أن نبيِّن من خلال الحجاج وآلياته أنَّ الإسلام في تربيته للشَّخصية المسلمة ينتهج نهجًا عقليًا يقوم على الجدل، والحوار، والمناقشة والاستدلال والإقناع ،والخطاب، باعتبارها من فطرة الإنسان وخاصِّيَّة من خواصِّه.

[1]- ينظر: صحيح مسلم، كتاب الطهارة ، ص72.

فالإنسان بطبعه يميل إلى حبِّ الغلبة والتَّفوق، والشُّهرة وتحقيق الذَّات والدِّفاع عن آرائه وقيمه فالإسلام في كلِّ توجيهاته ومعالجاته، إنَّما يتَّفق مع الفطرة، ويهدي الإنسان إلى ماهو أقوم، وما سنتطرق إليه في هذا المبحث يوضح هذا أكثر...، ومن المصطلحات الَّتي تحمل معنى الجدل والنِّقاش نذكر:

1- **المناظرة:**

ورد في كتاب "المناظرات الرُّؤى والرَّأي الآخر" أنَّ مصطلح المناظرة: «يعني المناقشة بين فريقين يَنْبَرِي (يتولى) كلُّ منهما الدِّفاع عن وجهة نظره ويتولى الفريق الآخر مهمة الدِّفاع عن الفكرة، المقابلة لها، ويجب أن يكون المناظر دارسًا للموضوع الَّذي يخوض فيه خصمه، فَاهِمًا للحقائق داحضًا لِادِّعاءاته، مبيِّنًا وجه الحقيقة، بأدلَّة عقليَّة أو نقليَّة »[1].

أي؛ أنَّ في المناظرة يكون الحوار متبادلًا بين اثنين أو جماعتين يمثِّلان اتِّجاهين متباينين حول قضيَّة واحدة.

في حين اعتبرها الدُّكتور "غربي بكَّاي" «أنَّها النَّظرُ بالبصيرة من الجانبين في النِّسبة بين الشَّيئين إظهارًا للصَّوابِ »[2].

بمعنى أنَّ المناظرة تستدعي إحداث توازن في المخاطبة بين الطَّرفين أو المتناظرين من خلال ملاحظة الآراء المتبادلة منهما، وتمحيصها، وتصويبها والأخذ بالرَّأي الأصوب.

وللتَّوضيح أكثر يمكن أن نمثِّل للمناظرة من خلال ماجاء في "بلاغة الخطاب الإقناعي" "لمحمد العمري" في موضوع الحضانة، تَخَاصَمَ "أَبُو الأسود الدُّؤلي" مع زوجته في حضانة ابنهما بعد الطَّلاق، فَيُرْوَى أنَّهما احتكما إلى "زياد أو معاوية"، فجاء في مرافعة المرأة: «أصلح الله الأمير هذا ابني كان بطني وعاءه وحجري فِنَاءَهُ وثدي سقاءه، أَكْلَؤُهُ إذا نام، وأحفظه إذا قام فلم أزل بذلك سبعة أعوام، حتَّى إذا استوفى فصاله وَكَمُلَت خِصَالُهُ، واسْتَوْكَعَتْ أوصاله وأَمَلت نفعه ورجوت دفعه أراد أن يأخذه مني كُرْهًا، فآدني أيُّها الأميرُ فقد رام قهري، وأراد قسري، وكان رد "أبي الأسود الدُّؤلي": "أصلحكَ الله هذا ابني، حملتُه قبل أن تحملَه ووضعتُه قبل أنت تضَعَهُ وأنا أقوم عليه في أدبه، وأنظر في أودِّه، وأمنحه علمي، وألهمه حلمي حتَّى يكمل

[1] – المناظرات الرؤى والرأي الآخر، مجدي إبراهيم محمد إبراهيم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية 2014م، ط1، ص7-8 .

[2] – مجلة الحجاج النَّحوي بواعيثه وتقنياته، غربي بكَّاي، مخبرالخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر، جامعة ابن خلدون، تيارت، ع10، جوان2015، مج3 ، ص47.

عقله ويستحكم فتله "، فَعَقَّبَتْ المرأة عليه: "صدق أصلحك الله، حمله خفًّا وحملتُه ثقلًا ووضعه شهوةً ووضعتُه كرهًا" »[1]، وكان حكم القاضي (زياد أو معاية): «أُزْدُدْ على المرأة ولدها فهي أحقُّ به منك ودعني من سجعك »[2].

يتبيَّن من خلال ما حدث بين المرأة وزوجها من حوار ومناظرة حول كسب حضانة الابن، فكانت حُجَّة المرأة اللُّجوء إلى الأمومة باعتبارها أدلَّة قويَّة، لربح القضيَّة ضدَّ زوجها، في حين قرع حجَّتها "أبو الأسود "معتمدًا على المغالطة بحجَّة زرع قيَّمِه الرُّجوليَّة في ابنه، إلَّا أنَّ زوجته تفطَّنت إلى ضعف الجانب الأول من مرافعة زوجها فعادت لتستغلَّه ضده وعلى الرَّغم من ذلك إلَّا أنَّ الحضانة والرِّعاية من نصيب الأم لأنَّ حجَّتها كانت مقنعة وذاعنة.

وإضافة إلى هذا نجد "صالح السَّامرائي" يضع بين أيدينا مناظرة أخرى بين "الكسائي وأبي يوسف القاضي" عند هارون الرَّشيد، فجعل "أبو يوسف "يذمُّ النَّحو، ويقول: ما النَّحو؟ قال الكسائي: وأردت أن أعلِّمه فضل النَّحو، ما تقول في رجل قال لرجل: أنَّا قَاتِلُ غُلاَمِكَ، وقال له آخر: أنَا قَاتِلٌ غُلاَمَك، أيُّهما كنت تأخذ به؟ قال: آخُذَهُمَا جميعًا، فقال له "هارون": أخطأت-وكان له علم بالعربيَّة- فاستحي وقال:كيف ذلك؟ فقال: الَّذي يُؤخَذُ بقتلِ الغلام هو الَّذي قال: أنا قاتلُ غُلاَمِكَ بالإضافة لأنَّه فعل ماضٍ، وأمَّا الَّذي قال: أنا قاتلٌ غُلاَمَكَ بلا إضافة فإنَّه لا يُؤخَذُ لأنَّه فعل مستقبل لم يكن بعد كما قال الله تعالى: «﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْیْءٍ إِنِّی فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [3]، فلولا أنَّ التَّنوين فيه مُستقبل ماجاز فيه غدا فكان أبو يوسف بعد ذلك يمدح العربية والنحو [4].

فهذه المناظرة تُبَيِّنُ لنا أنَّ للحركات الإعرابيَّة دوراً فعالًا ومهمًّا في تحديد المعنى في السِّياق الَّذي قِيلَتْ فيه، فكلَّما بدَّلنا حركة بحركة مغايرة لها تغيَّر المعنى، والتَّنوينُ هنا دلَّ على الاستقبال، وخير شاهد هو ماتضمَّنته هذه الآية .

2- الحوار:

[1]- في بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري، ص60 .

[2]- المرجع نفسه، ص60.

[3]- سورة الكهف، الآية : 23.

[4]- معاني النحو، فاضل صالح السَّامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، دط، ج1، ص32.

يرى "عبد الله العشي" في كتابه "زحام الخطابات" أنَّ الحوار: «لا يقوم على التَّنافس بل على إرادة المعرفة من جهة الُمحَاوَرْ وتقديمها من جهة المحاوِر، فالخطاب في الحوار ينتجه طرف بمساعدة طرف ثاني فينمو بفعل البناء المتواصل كأجوبة الشُّعراء القدامى على أسئلة قرائهم »[1] أي؛ أنَّ القصد من الحوار الشَّرط فيه وجود شخصين فأكثر يتناقشون أو يتبادلون الحديث في إطار منظَّم على شكل أسئلة وأجوبة (أخذ وعطاء) بهدف الحصول على المعرفة.

وتوضيحًا لهذا التَّعريف نجد في كتاب "الخطاب والحجاج" لصاحبه "أبي بكر العزاوي" آلية الحوار يعرض لها ببعض الأبيات الشِّعريَّة من قصيدة **العلَّة** "لأحمد مطر" وهي كالأتي:

قال لي الطَّبيب، أردتُ أن أجيب، وقال ...، ويتبيَّن أنَّ الحوار أهمُّ أشكال التَّفاعل اللَّفظي، وهو المجال الطَّبيعي الَّذي يقع فيه الحجاج بامتياز، فالحوار الَّذي نجده في هذه القصيدة يتم داخل مؤسسة معيَّنة وعند ذكر لفظة المؤسَّسة يتبادر إلى ذهننا ما يمكن تسميته بالسُّلطة المعنويَّة للسَّائل والَّتي لا بدَّ للمسؤول من الخضوع لها والشَّيء نفسه بالنِّسبة لهذه الأبيات .

فالطَّبيب يسأل والمريض ملزمٌ بالجواب، والطَّبيب هنا يسأل ويوجِّه النَّصائح والإرشادات فالعبارات "كدت أستجيب، وأردت أن أجيب" وغيرها تؤكِّدُ خضوع المريض لسلطة الطَّبيب؛ فالطَّابع الحواري لهذا النَّص أكسبه قوَّة حجاجيَّة عاليَّة وجعلنا نرى بوضوح الوظيفة الحجاجيَّة والإقناعيَّة الَّتي هي إحدى وظائف النَّص الشِّعري، والأدبي عامَّة»[2].

كما ضُمِّن في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾[3].

ورد في "التَّفسير المظهري" أنَّ معنى الآية تتضمَّن حوارًا بين الكافر والمسلم في قضيَّة الخلق والكفر بالبعث كفرًا بالله تعالى، لأنَّ إنكار البعث أساسه الشَّك في كمال قدرة الله تعالى، ولذلك رتَّب الإنكار على خَلْقِهِ إيَّاه من تراب، فإنَّه من قدَر على بدء خلقه من التُّراب قادر على أن يعيده منه»[4].

---

[1]- زحام الخطابات، عبد الله العشي، دار الأمل للنشر والتوزيع، تيزي وزو، دط، ص44، 45.

[2]- ينظر: الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص53، 54.

[3]- سورة الكهف الآيتان : 37-38.

[4]- ينظر: التفسير المظهري، محمد ثناء الله، تح، غلام نبي التونسي، مكتبة الراشدية، الباكستان، دط، 1412هـ، ج6 ص35.

فقد حاول كل من المسلم والكافر إيجاد طريقة للحوار بأسلوب واضح وهما يثيران قضيَّة بدء الخلق الَّذي يقف إزاءها البطل الآخر ليعبر عن دوره بكل أمانة ووضوح .

ونجد "إحسان عبد المنعم سمارة " في كتابه"التَّأصيل للحوار والجدال والحجاج إسلاميًا"، يمثل بقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– للَّذي استأذن بالزِّنى: «أَتُحِبُهُ لأمِّك ؟ قال لا واللهِ جعلني اللهُ فداكَ قال لعمتك؟... أفتحبُّه لخالتك،...قال لا جعلني الله فداكَ... قال –صلى الله عليه وسلم– ولا النَّاس يحبونهم لبناتهم وعمَّاتهم وخالاتهم ... فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[1].

ومن خلال هذا المثال نرى أنَّ الرَّسول –صلى الله عليه وسلم– يحاور الَّذي يستأذن بالزِّنى من خلال استدراجه بالأسئلة والأجوبة من أجل أن يتوصَّل إلى نتيجة دامغة تردع وتنهى عن فعل الزِّنى وبالفعل تمكَّن الرَّسول–صلى الله عليه وسلم– من تغيير سلوك هذا الفتى.

3- الجدال:

يوضِّح "عبد المنعم سمارة" أنَّ الجدل والجدال والمجادلة، لم تخرج عن معانيها اللُّغويَّة حيث استعمل في معرض المنازعات الفكريَّة، والخصومات الفلسفيَّة والمحاجَّة عل سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم الحُجَّة وفي الخلافات المذهبيَّة والسِّياسيَّة لحمل المخالف على ترك رأيه والتَّخلي عنه ... »[2].

ونستوحي من هذا التَّعريف أنَّ الجدل نزاع ومغالبة ومفاوضة بين الطَّرفين (المجادِل والمجادَل)، في عرض الحجج الَّتي يتحقَّق بها إفحام الخصم ومحاولة كل من المجادلين أن يفتل الآخر عن رأيه، وذلك من خلال المقابلة بين الحجج والبراهين لإظهار الرَّأي الصَّائب .

ويمكن أن نعرض أمثلة للجدل في القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: «﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾»[3].

نفهم من سياق الآية: أنَّ من سبَّح وقدَّس لك هو أولى بالإيجادِ و الجعل فيها ممن يفسد فيها ويسفك الدِّماء، فكان جواب الله لهم (الملائكة) من جهة أخرى، ولهذا لم يرد عليهم قولهم، إذ قد علم سبحانه

---

[1]– التَّأصيل للحوار والجدال والحجاج إسلاميًا، إحسان عبد المنعم سمارة، ص154.

[2]– ينظر: التَّأصيل للحوار والحجاج والجدال إسلاميا، إحسان عبد المنعم سمارة، ص133.

[3]– سورة البقرة، الآية : 30.

الَّذي اعتقدوه فيهم ووصفوهم به كائنٌ أي؛ نُنَزِّهُك عمَّا لايليق بصفاتك، والتَّسبيح في كلامهم التَّنزِيه من السُّوء على وجه التَّعظيم »[1].

كما نجد هذه الآلية كذلك تَرِدُ في القصَّة المشهورة –المرأة الَّتي جاءت إلى الرَّسول –صلى الله عليه وسلم– تشتكي زوجها الَّذي ظاهر منها– فلمَّا لم تجد ما تقنع به الرَّسول –صلى الله عليه وسلم– كي يفرِّج كربها اشتكت إلى الله، ولم تبرح مكانها »[2]، فسمع سبحانه قولها ونزلت آية المجادلة في قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ﴾ [3].

نزلت هذه الآية في "خولة بنت ثعلبة" وزجها "أوس بن الصامت" وحوارها مع الرَّسول–صلى الله عليه وسلم– حيث قال لها: قد حَرُمْتِ عليه، قالت: والله ماذكر طلاقاً، ثم تقول: أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي، وإنَّ لي صبيةً صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليَّ جاعوا، وجعلت ترفع رأسها إلى السَّماء وتقول: اللَّهم إنِّي أشكو إليك، وكان زوجها مشتدًّا به لممه ذات يوم فظاهر منها بقوله: "أنتي عليَّ كظهر أمي"، وفي هذا قالت "السَّيدة عائشة " –رضي الله عنها –: تبارك الَّذي ادَّعى سمعه كل شيء أنِّي لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليَّ بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله–صلى الله عليه وسلم– وهي تقول: يارسول الله أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت له بطني حتَّى إذا كبرت سنِّي وانقطع ولدي ظاهر منِّي، ثم ندم على ذلك وكان الظِّهار طلاقًا في الجاهلية؛ وهو الفرقة المؤبدة لما يُخلِّفه من قسوة وضرر في الأمر.

ويظهر الجدال هنا في مراجعة الكلام مع الرَّسول–صلى الله عليه وسلم – للمرأة المجادلة والَّتي كانت غايتها من مفاوضتها للرَّسول–صلى الله عليه وسلم– لزوجها كسب رضاه، والرُّجوع إلى أولاده للاعتناء بهم ولقد ساقت الزَّوجة في جدالها أسلوبًا عقليًا إلى مافي عمليَّة الظِّهار من عناء ومشقَّة وتعب»[4].

4– الخطاب :

---

[1] – ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبوعبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر القرطبي (ت671هـ)، تح، عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقيوسي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1467هـ–2006م، ج1، ص411.

[2] – ينظر: استخراج الجدال من القرآن الكريم، ناصح الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الأنصاري ابن الحنبلي(ت554–634هـ)، تع، محمد حسن صبحي حلاق، مؤسسة الريان، ط1 ،1413هـ–1995م، ص26.

[3]– سورة المجادلة، الآية : 1.

[4] – ينظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني(ت1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ، ج5، ص217.

ورد في كتاب "الخطاب وخصائص اللُّغة العربيَّة" "لأحمد المتوكِّل" «أنَّ الخطاب كل ملفوظٍ /مكتوب يشكِّل وحدة تواصليَّة قائمة الذَّات، كما تصنف الخطابات من حيث موضوعها (خطاب ديني، علمي سياسي...)،ومن حيث بنيتها داخل مايسمى بالخطاب الفنِّي (الإبداعي الأدبي) إلى قصَّة، ورواية، وشعر وغيرها»[1].

أي؛أنَّ البناء التَّبليغي مصكوك بمقومات خطابيَّة تواصليَّة تسرد وتحاور وتستفهم، وتعارض وتتجاوز وتدقِّق، وتصغي، وتُعَقِّبْ ويتنوع بتنوُّع الموضوعات والمقامات وغايته إقامة علاقة تواصليَّة ونمثل لهذه الآليَّة من النَّص القرآني من خلال قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾[2]،ويأتي الخطاب في هذه الآية بمعنى أنَّه إذا سفه عليهم الجهال بالسَّيء لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يَعْفُونَ ويصفحون، ولا يقولون إلَّا خيراً أي؛ الإنسان المؤمن التَّقي لا يقابل السَّيئة بالسَّيئة بل يدفع بالَّتي هي أحسن وأقوم والخطاب في هذه الآية موجَّه من الجاهلين إلى عباد الرَّحمن»[3].

وإضافة على هذا نجد الخطاب متجلِّيًا في **شعر النَّقائض** بين" **الأخطل وجرير**" :

حيث يقول الأخطل:

«مَازَالَ فِينَا رِبَاطُ الخَيْلِ مُعلَمَةً * وفي تَمِيمٍ رِبَاطُ الذُّلِّ وَ العَارِ

النَّازِلينَ بِدارِ الذُّلِّ إنْ نَزَلُوا * وتَسْتبِيح كُليبٌ مَحْرَمَ الجَارِ

فَيُجِيبُهُ جَرِيرْ :

قَوْمِي تَمِيمٌ هُمُ القَوْمُ الذِينَ هُمُ * يَنْفَوْنَ تَغْلِبَ عن بَحْبوحَةِ الدَّارِ

النَّازِلونَ الحِمَى لَمْ يُرْعَ قَبْلَهُمْ * وَالمَانِعَونَ بِلاَ حِلْفٍ ولاَ جَار»[4].

---

[1]– الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكِّل، الدار العربية للعلوم، دار الأمان، الرباط، ط1، 1431 هـ– 2010م، ص24، 25.

[2]– سورة الفرقان، الآية : 63 .

[3]– ينظر: تفسير القرآن العظيم عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي(ت774هـ)، تح، مصطفى السيد محمد، مؤسسة قرطبة، جيزة، ط1، 1421هـ – 2000م، مج 10، ص320.

[4]– لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، عبد الفتاح أحمد يوسف، ص 116، 117، 118.

فالنَّازلون تحمل معنى الذُّل لأهل جرير وعشيرته في خطاب الأخطل بينما تحمل معنى الشَّهامة والنُّبل لأهل جرير وعشيرته في خطاب جرير، الخطاب هاهنا تارة يكون موجَّهًا من الأخطل إلى جرير والعكس صحيح، فعلى الرَّغم من هذا التَّناقض نجد خطابهما يتَّفق في المعنى، باعتبارهما وجهين لعملة واحدة، لأنَّ الخطاب بالكلام فعَّاليَّة فرديَّة ونشاط ذاتي يعتمده المتكلِّم في تعبيره عن أغراضه .

المبحث الرابع: طرقه وأصنافه (أنواعه).

1- أصناف الحجاج:

يمكن تصنيف الحجاج إلى أصناف كثيرة منها: التَّوجيهي، التَّقويمي، والتَّجريدي.

1- الحجاج التَّوجيهي: «يقصد به إقامة الدَّليل على الدَّعوة بالبناء على فعل التَّوجيه الَّذي يختص به المستدل علمًا بأنَّ التَّوجيه هنا فعل ايصال المستدل لحجَّته إلى غيره، ويعد هذا الصنف في مستوى أدنى من مستوى الحجاج "التَّقويمي"؛ وذلك لأنَّ المرسل يكتفي بقصده فقط في تكوين حججه وتنظيم خطابه فالمرسل في هذا العمل لا يقيم وزنًا للمرسل إليه إذ يكتفي بمجرد ايصال حُجَجِه إليه»[1].

أي هذا النَّوع من الحجاج، حجاج ذاتي يقتصر على المخاطب وذلك من خلال إقامة حجَّته على الغير وتنظيمها دون مبالات بمدى رد فعل هذه الحجَّة على الجمهور أو المتلقي، فغايته إلقاء وايصال حُجَجِه فقط بكل ثقة منه بأنَّها حجج مذعنة، دون توقع اعتراضات واستباقات لحُجَجِه من قبل السَّامع ومايهمه هو إثراء خطابه وتوفير الوقت .

2- الحجاج التَّقويمي: «المقصود به إثبات الدَّعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل، على أن يجرد من نفسه ذاتًا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه أو ما يسمى بالتَّشخيص (في النَّظريَّة اللِّسانيَّة) أي؛ أنَّه ينبني أصلًا على اعتبار فعل الإلقاء وفعل التَّلقي معًا على سبيل الجمع والاستلزام»[2].

أي أنَّ المتكلِّم يتعاطى لتقويم حجَّته بإقامة حوارٍ حقيقي بينه وبين نفسه، مراعيًا فيه كل مستلزمات التَّخاطبية حتَّى كأنَّه عين المتلقي له في الاعتراض على نفسه، فيتبيَّن أنَّ الحجَّة المبينية على التَّقويم، تنهض بما ينطوي عليه الاستدلال في الخطاب الطَّبيعي من أسباب الثَّراء والاتِّساع؛ إذ تنبني أصلًا على اعتبار فعل الإلقاء وفعل التَّلقي معًا»[3].

---

[1]- إستراتيجية الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص470، 471.

[2]- المرجع نفسه، ص475.

[3]- ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص228.

إنَّ حقيقة الخطاب تنبني على العلاقة الاستدلاليَّة، وأنَّه لاعلاقة استدلاليَّة إلَّا بتحصيل قصدين اثنين هما: "قصد الادِّعاء وقصد الاعتراض"، فالحجاج التَّقويمي يعد الاستدلال الَّذي يأخذ فيه المحتج بوجهة المعترض، فضلًا عن وجهته الخاصَّة بوصفه مدَّعيًا»[1].

3- الحجاج التَّجريدي: «وهو الاستدلال الَّذي يتعاطى فيه المحتج تقليد البرهان الصِّناعي »[2] أي التَّجريد أن ينتزع المتكلِّم من أمر ذي صفة أمراً آخر مثله في تلك الصِّفة، مبالغة في كمالها وأقسام التَّجريد كثيرة نذكر منها:

1- منها مايكون بواسطة البناءات التَّجريدية الدَّاخلة على المنتزع منه، نحو قولهم: لئن سألت فلانًا لتسألن به البحر، فقد بالغ هنا في اتِّصافه بالسَّماحة حتَّى انتزع منه بحرًا فيها»[3].

وسمي هذا النَّوع تجريدًا، لأنَّ العرب تعتقد أنَّ في الإنسان معنى خفي فيه كأنَّه حقيقته، فيخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجردًا على الإنسان كأنَّه غيره.

2- ومنها ما لا يكون بواسطة، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢ ﴾[4].

حسب تفسير "فتح القدير" أنَّ الكفَّار إن نكثوا العهود الَّتي عاهدوا بها المسلمين ووثَّقوا لهم بها، وضموا إلى ذلك الطَّعن في دين الإسلام، والقدح فيه، فقد وجب على المسلمين قتالهم، وأئمة الكفر هنا صناديد المشركين، ومنه نقض الإيمان والعهود على طريق الإستعارة، وأنَّ هؤلاء الطَّاعيين في الدِّين ليسوا من أهل الإيمان، وقتالهم واجب على المسلمين، فالله قد أمر بقتلهم بشرطين **أحدهما**: نقض العهد، **والثَّاني**: الطَّعن في الدِّين»[5].

وإضافة إلى ماذكر نذكر مجموعة أخرى من الأنواع الحجاجيَّة هي:

---

[1]- ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن ، ص229.

[2]- المرجع نفسه، ص228.

[3]- ينظر: جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 2009 م، ص272.

[4]- سورة التوبة، الآية : 12.

[5]- ينظر: فتح القدير، الشوكاني اليمني، ج2 ، ص399.

1- حجة التَّبرير: «(largume de gaspillage) وأداتها "بما أنَّ"، وتتميَّز الحُجَّة كما تناولها "**تولمن**" مبدئيًا بصورة حدسيَّة بوظيفتها التَّبريرية، فالحُجَّة بالنِّسبة له هي كل قضيَّة (claims)، (proposition) نقدمها كتأكيدات (assertions)، ومصاغة بشكل أو بأخر كأسباب (grounds)»[1].

فالدَّليل التَّبريري هو مايقدمه المخاطِبْ للمخاطَب من تعليلات وتفسيرات مقنعة لقضيَّته تحمل ذهن المتلقي على الإذعان القاطع وتكون باستخدام روابط وعوامل حجاجيَّة "كأي، لأنَّ، بما أنَّ"، وذلك بتوظيف الأمثلة كالأحايث النَّبيويَّة، وشاهد القرآن الكريم، الَّذي يعتبر كأكبر دليل لوضع السَّامع في إذعان وخضوع لما تلقاه من هذه النُّصوص أو ماقام به المخاطِب من إلقاء.

2- حجة الاتِّجاه: «(direction) وغرضها التَّحذير من انتشار شيء ما .

3- الحُجَّة التَّواجديَّة: تبنى على علاقة الشَّخص بعمله ويمكن أن نمثِّل لها بقوله –صلى الله عليه وسلم- "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيه" ؛ إذ يمكن أن نقول إنَّ المتعلم بوصفه شخصًا بجوهره ليس فضوليًا وعمل ترك ما لا يعنيه من تجليات حسن الإسلام"»[2].

وهذا مايقابله في المثَل القائل: "لا تتدخَّل فيما لا يعنيك حتَّى لا تسمع ما لا يرضيك" أي؛ على الإنسان أن يلتزم بشؤونه الخاصَّة ولا يكون حشريًا في أعمال الغير، وهذا ما نصَّت عليه الشَّريعة وإلتزامه بهذا المبدأ يكسبه احترام النَّفس، وكسب خصال حميدة في الإسلام.

4- الحُجَّة الرَّمزيَّة: للرَّمز قوَّة تأثيريَّة في الَّذين يقرُّون بوجود علاقة بين الرَّامز والمرموز إليه ،كدلالة العَلمْ في نسبته إلى وطن مُعيِّن، والهلال بالنسبة إلى حضارة الإسلام، والصَّليب نسبة إلى المسيحيَّة، والميزان إلى العدالة أي، أنَّ اللُّغة الرَّمزية بين المشير (المتكلِّم) والمشار إليه (المتلقي) أكثر وأحسن طريقة تبليغيَّة ايصاليَّة تأثيريَّة ذاعنة ومقنعة»[3].

ويؤِّكد هذا المرمى قول "ابن وهب": «وأمَّا الرَّمز فهو ما أخفي من الكلام... وإنَّما يستعمل المتكلِّم الرَّمز في كلامه في مايريد طيِّه عن كافة النَّاس والإفضاء به إلى بعضهم فيجعل للكلمة أو للحرف اسمًا من أسماء

---

[1]- تاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون، جيل جوتيه، تر، محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العاتمي، جدة، ط1، 1432هـ-2011م، ص60.

[2]- التداولية الحجاج، صابر الحباشة، ص48.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص48.

الطُّيور والوحش أو سائر الأجناس أو حرفًا من حروف المعجم ويطلع على ذلك الموضع من يريد إفهامه رمزه، فيكون ذلك قولًا مفهومًا بينهما، مرموزًا عن غيرهمَا... »[1].

أي؛ هو ذلك الخطاب المقنع الخفي الموحي بمعاني مختلفة لها شفرات يعرفها المعني بالأمر –صاحب الخطاب– ويكون موجهًا لفئة على دراية بهذا المعنى الكامن الَّذي تحمله اللُّغة الرَّمزية، وبها يكتسي النَّص حلَّة وقوَّة جماليَّة، تعزف على وَتَرِ ذوق السَّامعين وتعصف ذهنه وتشد انتباهه فيحدث اقتناعه وإذعانه.

5– حُجَّة المثَل: إنَّ الغاية من اعتماده حجاجيًا هو التَّأسيس للقاعدة والبرهنة على صحَّتها أي؛ بمثابة الدَّعم فهو حُجَّة تقوم على المشابهة على حالتين في مقدمتهما ويراد استنتاج نهاية إحديهما بالنَّظر إلى نهاية مماثلتها، والمثَل بدوره يعتبر دعامة كبرى من دعائم خطابة الإقناع والتَّأثير»[2].

6– حُجَّة الاستشهاد: «غايته توضيح القاعدة، وتكثيف الأفكار في الذِّهن وهو أداة لتحويل القاعدة من طبيعة مجردة إلى أخرى محسوسة»[3].

ولعلَّ القرآن الكريم يقدم لنا أمثلة حجاجيَّة وهو أهم مصدر لهذه الأشكال الحجاجيَّة، فهو ككل خطاب يروم الفعل في المتلقي بإقناعه، أو حمله على الإذعان وغايته توجيه السُّلوك والمواقف والسُّلوك موظفا في ذلك شتى الوسائل والأساليب وتقوية الحُجَّة الدَّاحضة.

ومن خطب الحَجَّاج أيضًا استشهادات كثيرة أحيانًا كما في خطبته حين ولي الكوفة فهذه (الحجج) تساهم في بناء الخطبة فتدعم الصُّورة، بما تشيعه من إغراب وإحالة على عالم خاص، كما تدعم الصَّوت والايقاع، ومن خطبته قوله:

«قد شمَّرت عن ساقها فشُدُّوا ** وجَدَّت الحَرْبُ بِكُم فجُدُّوا**
والقَوسُ فِيهَا وترعدُّ(*) ** مِثلَ ذِرَاعِ البِكرِ أو أشَدْ**
لاَ بُدَّ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ بُدّ »[4].

---

[1]– معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي، العراق، دط، 1403هـ–1983م، ج3، ص23، نقلا عن البرهان في وجوه البيان ابن وهب، ص137.

[2]– ينظر: التداولية والحجاج، صابر الحباشة، ص49.

[3]– المرجع نفسه، ص49.

* – شديد، المرجع نفسه، 120.

[4]– في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموجا، محمد العمري، ص118.

وقوله أيضا:

إنِّي والله يا أهل العراق، ومعدن الشِّقاق والنِّفاق، ومساوىء الأخلاق ما يقعقع لي بالشَّنان(*)، ولا يغمز جانبي كتغماز التِّين.... »[1] .

وهذا جرء من خطبة "الحجَّاج بن يوسف الثَّقفي" لما قدم إلى العراق وأراد أن يصبح واليا وأميرًا على أهلها، وهو يصرِّح على المنبر ببداية الحرب، معلنًا عنها فاستعمل في كلامه الاستشهاد، وهذا الأخير نوع من الحِجَاج القويّ الذَّاعن، فخطبته هذه المليئة والزَّاخرة بالاستشهادات والَّتي كان يريد الحَجَّاج من ورائها غرس روح الإقدام والعزيمة والإرادة والشَّجاعة في أهل العراق بدفعهم إلى الخوض في الحرب والحصول على النَّصر ودرء الهزيمة، وقد تكون هذه الأنواع الحجاجيَّة السَّالفة الذِّكر مكتوبة، أو شفهيَّة وهذا ما فرض علينا وجوب إحداث فرق بين الحجاج الشَّفوي والحجاج الكتابي.

بما أنَّ الحجاج فنُّ الإقناع ممَّا يؤدي إلى الحمل على الإذعان، فهو ينقسم إلى حجاج شفوي وكتابي ولكلٍّ منهما ميزة خاصة، «فهو حجاج مميَّز لأنَّه يقاوم عدوين قاتلين هما: عدم الانتباه والنِّسيان»[2].

أي؛ لا حاجة للخطيب إن رام إقناع جمهوره برأيه أو أطروحته، إلى الإسهاب أو التَّطويل، في بسط الحجج وحشد الدَّلائل والبراهين الَّتي تساعد المتلقي على التَّركيز والانتباه لأنَّ الخطيب حينما يكون في مقام شفوي يحتاج إلى لفت انتباه السَّامعين والاستحواذ على أسماعهم.

وفي هذا الجانب نذكر خطابًا "لعلي بن أبي طالب"-كرَّم الله وجهه- وهو حجاج شفوي موجَّه إلى السَّواد الأعظم من المتلقين، باحثًا عن إقناعهم برؤية ما أو حملها على الإذعان دون اقتناع حقيقي يقول: «أُفٍّ لَكُم لَقَد سَئِمتُ عِتَابَكُم، أَرَضَيتُم بالحياةِ الدُّنياَ من الآخرة عوضًا، وبالذُّلِّ من العزِّ خلفًا، إذا دَعَوتُكُم إلى جهادِ عَدُوِّكُم دارت أعيُنُكُم(*) كَأَنَّكُم من الموتِ في غمرةٍ.

---

* -الجلد اليابس فإذا قعقع به نفرت الإبل منه، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي في دراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا، محمد العمري، ص120.

[1]- المرجع نفسه، ص118.

[2]-دراسات في الحجاج، قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، سامية الدريدي الحسني، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 1430هـ- 2009م، ص117.

* - دوران الأعين: إضطرابها من الجزع ومن غمرة الموت، وهو الموت الشَّديد الَّتي تنتهي إليه، دراسات في الحجاج، قراءة لنصوص مختارة في الأدب العربي القديم، سامية الدريدي، ص118.

ومـن الـذُّهولِ في سَـكرَةٍ يُـرتَجُ(♣) عليكم حواري فتعمهون،فكـأنَّ قُلُوبَكُم مَألُوسَـةُ(♦)،فـأنتم لا تَعْقِلُـونَ... »[1].

وقُدمت هذه الخطبة في ظروف سياسيَّة حرجة، اتَّسمت ببدايات الشِّقاق وبوادر الخلاف، وبانت فيها مقدمات صراع مذهبي وسياسي، فالخليفة يواجه حركة عصيان ظهرت في الشَّام، وبدأت تنذر بتصدُّع كيان الدَّولـة الإسـلاميَّة الفتيَّة، وهنـا يواجـه "علـي"-كـرَّم الله وجهـه- انفعـالين: "انفعـال الغاضـب لأمـور الدَّولـة والدِّين"، "وانفعـال الحـانق على الأعـداء والخـصوم مـن ناحيـة والمتخـاذلين مـن أصـحابه وأشياعه مـن ناحيـة ثانيـة"إذن؛ فالمقـام هنـا مقـام وعـين وتـدارك الأمـور قبـل فواتهـا، وتـدبُّر الأوضـاع قبـل فسـادهَا، ولا سـبيل إلى ذلك عند "علي"إلَّا بإخماد الفتنة قبل انتشارها، ومحاربة أهل الشَّام»[2].

"فعلي"-كـرَّم الله وجهـه- يحـاول إقنـاع مخاطبيه مـن أصـحابه وأتباعـه وعمـوم المسلمين وإفـراغ فيهـم روح العزيمة، وعامـل الشَّـهامة على الجهـاد، وحملهـم على التَّصدي لأهـل الشَّـام ،كمـا أنَّه يُوجِّـه الضَّـربة القاضية للخونـة في خلافتـه مـن خـلال صـفات اليقظـة والاسـتعداد الـدَّائم والانـشغال بالأعـداء، فنتيجـة الخطـاب في هذا المستوى من الحجاج إقرار بفضل أهل الشَّام وتقدُّمهم على أصحاب "علي" —كرَّم الله وجهه – وما يجب التَّأكيد عليه ها هنا، أنَّ مثل هذه الأساليب تبدو فاعلة جدًا في خطاب شفوي يتوجَّه به صاحبه إلى جمهور من المتلقِّين.

إنَّ النَّص "المكتوب" يأخذ معنى متوالية خطيَّة ذات علاقة مرئيَّة على الورق، لأنَّ تجسيده الخطي يمنحه إمكانيـة أن يحـل على صـعيد الشَّـفرة لامتلاكـه خـصائص لسـانيَّة ضـمنيَّة إلى جانـب ذلـك الـشَّكل الكتـابي (الخطي)، أو التَّركيبي، فالنَّص "المكتوب" يتوجَّه إلى متلق غائب، يتلقَّاه عن طريق عَيْنَيه قراءة، فهو مدوَّنة مكتوبة أي؛ له ديمومة الكتابة فهو يُقرأ في كل زمان ومكان»[3].

ويختلف الخطاب الشَّفوي عن النَّص المكتوب في أنَّ:

1- الخطاب الشَّفوي لا يتجاوز سامعه إلى غيره أي؛ أنَّه مرتبط بلحظة إنتاجه.

♣ - يرتج : يغلق وهو الحيرة والتَّردُّد، دراسات في الحجاج قراءة لنصوص مختارة في الأدب العربي القديم، سامية الدريدي الحسني، ص118.

♦ - مألوسة : المخلوطة بمسِّ الجنون، المرجع نفسه، ص118.

[1]- المرجع نفسه، ص120، 121.

[2]- المرجع نفسه، ص120، 121.

[3]- ينظر: الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، هاجر مدقن، ص30، 31.

2 –الخطاب الشَّفوي تنتجه اللُّغة الشَّفوية المنطوقة، وهو نشاط تواصلي، بينما النَّص المكتوب تنتجه الكتابة.

3- الخطاب الشَّفوي محدود بالقناة النُّطقيَّة بين المتكلِّم والسَّامع، وعليه فإنَّ ديمومته مرتبطة بهما لا تتجاوزهما، أمَّا النَّص المكتوب فإنَّه يستعمل نظامًا خطِّيًّا؛ لذلك ديمومته رئيسيَّة في الزَّمان، وعليه فالخطاب يتعلَّق بالمشافهة، والنَّص يتعلَّق بالكتابة»[1].

4- الحجاج الشَّفوي حجاج مختزل غير مطول، من خلال بسط الحجج، وحشد الدَّلائل والبراهين.

5- يفترض الحجاج الشَّفوي من المتلقي التقاط النَّص بما فيه لحظة نطقه واستيعاب حججه، وبراهينه لحظة نشأته؛ إذ لا سبيل إلى مراجعته وإعادة النَّظر فيه»[2].

2 – طرق الحجاج:

والمقصود هنا مجموع الأساليب والتِّقنيات الَّتي يستخدمها المتكلِّم، بغية خدمة نظره عن طريق حمل المتلقي على التَّسليم بصِّحة موقفه أَوْ لَا، والإذعان لمراده، وتبني ما يطرحه من وجهات نظر ثانية، وقد وقفنا على أنَّ المبدع يَخضع لذلك ثلاث وسائل بارزة في هذا المسلك الإقناعي:

*1– **التَّأكيدات الأداتيَّة:*** ونعني بها تأكيدات المتكلِّم لكلامه بواسطة أداة أو أكثر بهدف التَّأثير في السَّامع وإقناعه بصِّحة مذهبه، ورأيه ووجهة نظره في قضيَّة ما، وفي طرحه الَّذي يتبناه، والمتمثِّلة في (قد، لقد، إنَّ كان ....).

*2- **التَّأكيدات الأسلوبيَّة:*** وتنحصر في طريقة واحدة وهي القصر بالنَّفي والاستثناء .

*3 –**المقابلة:*** وتكون ممثلة في أزواج المقابلات بين المضامين الإخباريَّة المستقلة، لتبدوا حقيقة كل طرف حيال صاحبه، ولهذا النَّوع من الحجاج وهذه الطَّريقة من طرف الإقناع العقلي»[3].

وبإمكاننا أن نمثِّل لهذه التَّأكيدات بما يلي:

1– **التَّأكيدات الأداتيَّة:** (إنَّ)، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾﴾[4].

---

[1]–ينظر: الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، هاجر مدقن، ص31.

[2]– ينظر: في بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري، ص121، 122.

[3]–في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، نواري سعودي أبو زيد، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، ط1، 2009م، ص96، 97 .

[4]– سورة الانفطار، الآيتان : 13– 14.

بيَّن "حقِّي بن مصطفى الإستانبولي"(**ت1127هـ**) أنَّ الأبرار الَّذين بروا وصدقوا في إيمانهم بأداء الفرائض واجتناب المعاصي، فهم في نعيم وثواب الجنَّة، أمَّا الفجَّار هم الأشرار المكذبون، فهم في حفرة من حفر النِّيران»[1].

حيث أفاد المؤِّكد "إنَّ" غرض التَّحقيق ودفع الإنكار، والتَّأكيد الثَّاني (وإنَّ الفجَّار لفي جحيم) جملة معطوفة، وهنا الله –سبحانه وتعالى– يؤِّكد ويحسم أمر المشركين بأنَّهم لا يغيبون عن النَّار طرفة عين، وذلك الخلود، "وإنَّ" في قوله :(إنَّ الأبرار...، وإنَّ الفجَّار...)، جاءت لغرض الإخبار والوصف لحقيقة الجنَّة والنَّار.

2– ***التَّأكيدات الأسلوبيَّة:*** يعتبر الأسلوب المعنى المصُوغ في ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام، وأفْعَلْ في نفوس سامعيه، ومنه القصر والنَّفي، والاستثناء نحو قولك: لاَ رَسُولَ إلَّا مُحَمَّد.

فأسلوب القصر نصَّ على الِّذي أثبت له صفة الرِّسالة، ولم ينص على من نفيت عنه تلك الصِّفة أي؛ أنَّ الدَّعوة المحمدية مقصورة على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد –صلى الله عليه وسلم – دون سواه، ونحو قول الشَّاعر:

«**وَمَا المَرءُ إلاَّ كَالهِلاَلِ وَضَوئِه *** يُوَافِي تَمَامَ الشَّهْرِ ثُمَّ يَغِيبُ.**

غرض أسلوب القصر في البيت تقرير الكلام في الذِّهن، وقد يخرج كذلك إلى غرض المبالغة في المعنى كقول الشَّاعر:

لاَ سَيْفَ إلاَّ ذُو الفقَارِ(♣) *** وَلاَ فَتَى إلاَّ عَليٌّ**»[2].

3– **المقابلة:** أن يجمع المخاطب بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضدَّيهما، وفي هذا يقول النَّابغة:

«**وَإِنْ هَبَطَا سَهْلاً أَثَارَ عَجَاجَة ******* وَإِنْ عَلَوَا حُزْنًا نَشَظَت جنادل**»[3].

---

[1]– ينظر: روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبي الفداء(ت1127هـ)، دار الفكر، بيروت، ج10، ص361، 362.

♣– لقب سيف الإمام علي–كرم الله وجهه – ، الإحاطة في علوم البلاغة ، عبد اللطيف شريفي، زوبير دراقي، ديوان المطبعة الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2004م، ص85.

[2]– المصدر نفسه، ص87.

[3]– لغة التصوير الفني في شعر النابغة الذبياني، سعد سليمان حموده، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، دط 2002م، ص247.

فبيَّن قوله (هبطا سهلا)، وقوله(علوا حزنا) مقابلة.

وقولـه تعـالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ [1].

ومعنى هذه الآية حسب "مفاتيح الغيب"، ففي قوله: (فأمَّا من أعطى...بالحسنى) المراد منها إنفاق المال في جميع وجوه الخير من عتق الرِّقاب، وفكِّ الأسارى وتقوية المسلمين على عدوِّهم، وسَنُهيِّئه للجنَّة ونيسِّر له ما تعسَّر عليه، وقوله: (وأمَّا من بخل ...للعسرى) أي؛ من بخل بما أمر به واستغنى بشهوات الدُّنيا عن نعيم العقبى، وأنكر مدلول الحسنى فسنهيِّئه للنَّار وهنا – سبحانه وتعالى– يقابل بين جزاء الفئة الكافرة والطَّاغية بأنَّ مصيرها جهنَّم الحمراء، وبَين الفئة المؤمنة الصَّالحة بأنَّ ثوابها الفردوس الأعلى وهذه المقابلة واضحة وجليَّة في الآية الكريمة بكثرة»[2].

وفي الأخير فإنَّ كل ماتطرقنا إليه في هذه المباحث السَّالفة الذِّكر(الرَّوابط والأدوات، والطُّرق والأصناف، والآليات...)، تندرج ضمن الأسلوب الخطابي نظرًا لما تبرزه من قوَّة المعاني والألفاظ وقوَّة الحُجَّة والبرهان، وقوَّة عقل الخطيب، فمن خلالها يثير المخاطب إرادة سامعيه، ويوقظ نفوسهم ويرفع هممهم، لهذا الأسلوب شأن كبير في تأثيره، ووصوله إلى قرارة النُّفوس، ما يجعل الخطيب أكثر رفعة وسموًّا عندما يخاطب سامعيه في جبِّهم، وقوَّة عارضته وسطوع حُجَّته، ونبرات صوته، وحسن إلقاءه، ومحكم إشاراته ومن أظهر مميزات هذا الأسلوب، التِّكرار، استعمال مرادفات، وضرب الأمثال واختيار الكلمة الجزلة ذات الرَّنين (كالإستعارة، والمؤكِّدات الأداتيَّة ، والمقابلة...)، ويحسن فيه أن تتعاقب ضروب التَّعبير، من إخبار إلى استفهام، إلى تعجب، إلى استنكار، إلى نفي، إلى قصر، وأن تكون مواطن الوقف كافية شافية، ثم واضحة قويَّة، حتَّى يصل الخطيب إلى الكلام البليغ الَّذي يصوره بصورة تناسب أحوال المخاطبين، وبهذا كله يصبح حجاجًا ناجعًا فعالًا، هادفًا، مذعنًا، وغير فاسد ومغالط.

---

[1]–سورة الليل، الآيات : 5–10.

[2]–ينظر: مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر الحسن بن الحسين التيمي فخر الدين الرازي، خطيب الري (ت606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ص183، 182.

الفصل الثاني:

نماذج تطبيقيَّة لآليات الحجاج وروابطه في القرآن الكريم

يعتبر الحجاج فنًّا من فنون الإقناع وطريقة من طرائق الاستدلال، فهو خطاب يسعى إلى إحداث التَّأثير في المتلقي، وحمله على تبنِّي موقف ما أو القيام بعمل ما، وفي هذا المقام نذكر حد الحجاج دون التَّوسع في مسائله الفرعيَّة، والقصد من إيراده، هو بيان آلياته في النَّص القرآني، ونجد القرآن يدعو إلى الإقناع بالفكرة، وربط ذلك الإقناع بالقدرة على التَّحسين والتَّقبيح، والمتمعِّن في الذِّكر المبين يرى أنَّ الحجاج أو بالأحرى المحاجَّة تكون في مواطن المراوغة والمخالفة النَّاشئة عن الخصومة أي؛ "حجاج مضاد" أو محاولة الرَّفض والدَّحض، وما سوف نشتغل عليه في هذا المقام هو محاولة استخراج روابط وآليات الحجاج، ومدى تأثيرها على المتلقي، وحمله على التَّسليم بها من خلال مشاهد قصصيَّة من النَّص القرآني.

ومن ثَمَّ يكون لزامًا علينا أن ندرسه، دراسةً واعية تقوم على الفهم والاقتناع، وتبنى على الدِّراية والهداية لأنَّ القرآن الكريم مَهْمَا شابه غيره أو قاربه في دلالته ووظائفه يظلُّ قائمًا بذاته، له خصائصه المميزة عن غيره، باعتباره كائنًا لفظيًا له كينونته الخاصَّة به، وإيمانًا بقدسيَّة القرآن الكريم المعجز بألفاظه ومعانيه كان هدفنا الأسمى من هذا الجانب التَّطبيقي أن نساهم في تحليل نصٍّ قرآنيٍّ من زاوية تعنى بالحجاج وأساليبه فلا إغراق في التَّنظير بل تغليب للتَّطبيق، ونزوع واضح جلِّي إلى التَّحليل والتَّأويل وحسبنا بأن نذكر أنَّ كلَّ نص هو خطاب طرفاه باث (مرسل) ومتلقٍ (مرسل إليه)، وأنَّ كلَّ تحليل حجاجي يفرض بالضَّرورة إدراك رؤية الباث أو أطروحته الَّتي يدافع عنها، لننظر في مابعد في ضروب الحجج، وطرائق الاستدلال الَّتي يركِّز عليها في خطابه وفي مختلف آلياته (الحجاج) وعوامله.

وبما أنَّالقرآن الكريم قد حثَّ الإنسان على إعمال عقله وطاقاته الإدراكيَّة والشُّعوريَّة في هذا الكون فقد بنى لغته على مختلف أنواع الحجج والبراهين العقليَّة والنَّقليَّة على حدٍّ سواء، والقرآن مملوء بالحجج والبراهين في مسائل التَّوحيد وإثبات الصَّنائع والمعاد.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [1].

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [2].

[1] – الزخرف الآية : 58.

[2] – البقرة الآية : 258.

في قوله –عزَّ وجلَّ– (ألم تر...في ربِّه) هذه العبارة يقف فيها المخاطب على أمر يعجب منه والألف في "ألم" ألف التَّوقيف، والتَّوقيف التَّنبيه على أمر، كأنَّه يقول قف على هذه القصَّة فأمرها يستدعي الانتباه واليقضة ولفظها لفظ استفهام مثلاً: "ألم ترَ إلى فلان صنع كذا، وصنع كذا ؟!"، أو هل رأيت كالرَّسول في قدوته وفي قوله أيضا: (أنْ أتاهُ الله الملكَ) يعني؛ أنَّ اللهَ أتى إبراهيم –عليه السَّلام – الملك، وقد استهلَّ اللهُ – سبحانه وتعالى –كلامه على أسلوبي "الاستفهام والتَّعجب"، على أمر قد حاجَّ فيه الملك النَّمرود إبراهيم –عليه السَّلام – وهو أنَّ الله –سبحانه وتعالى– أتى" إبراهيم "–عليه السَّلام – النُّبوَّة والحكمة والكلام هنا جاء على صيغة الإخبار، قال الإمام" الرَّازي": «وأحتجُّوا في هذا بوجوه، **الأول** قوله تعالى: "فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وأتيناهم ملكًا عظيمًا" أي؛ سلطانًا بالنُّبوَّة والقيام بدين الله –عزَّ وجلَّ– **والثَّاني**: يشير إلى الضَّمير العائد على المذكورين واجب، وإبراهيم –عليه السَّلام – أقرب المذكورين إلى هذا الضَّمير، وكما أجمع جمهور المفسِّرين أنَّ الضَّمير عائد على ذلك الإنسان الَّذي حاجَّ إبراهيم –عليه السَّلام– وأجابوا عن الحُجَّة الأولى بأنَّ هذه الآية دالَّة على حصول الملك لآل إبراهيم وليس حصول الملك لإبراهيم– عليه السَّلام–»[1].

والَّذي حاجَّ إبراهيم – عليه السَّلام– قد خاصمه وكذَّبَه وادَّعى باطلاً في شأن الخالق وربُّ إبراهيم– عليه السَّلام – وبهذا يمكننا القول إنَّ محاورة إبراهيم –عليه السَّلام – والنَّمرود توصف في مقام المناظرة الَّتي ارتكزت على المحاجَّة والاستدلال وتحقيق حقٍّ كان باطلاً يردُّ حجَّة الخصم .

وفي سياق قوله :"ربِّي الَّذي يحيي ويميت" هنا إبراهيم –عليه السَّلام– يعرِّف بوجود الإله الَّذي يدعو إليه من خلال ذكر صفاته وأفعاله الَّتي لا يشاركه فيها أحد، بأنَّه هو الواحد الأحد القادر على الإحياء والإماتة، وهنا انتقل من دليل إلى دليل آخر، وهو أَنْ نرى حدوث أشياء لا يقدر الخلقُ إحداثها، فلا بدَّ من قادر يتولَّى إحداثها، وتوفرها ووجودها بعد عدمها، وانقطاعها وعدمها بعد وجودها، إثبات ودليل قاطع على وجود موجودٍ لاغيره وهو الله – سبحانه وتعالى – وقد سِيقت هذه الآية على طريقة الحجاج بالتَّعريف»[2].

---

[1] – مفاتيح الغيب، محمد الرازي فخر الدين ابن العلاء، ضياء الدين عمر(ت544–604هـ)، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، 1401هـ–1981م، ج7، ص24، 23.

[2] – ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج7، ص25.

ووضَّح "الزَّمخشري "في الكشَّاف قوله تعالى: "قال أنا أحيي وأميت" وهي حجَّة النَّمرود في ردِّه على إبراهيم –عليه السَّلام – من جنسها ومن صلبها، صنعها لنفسه، وهذا بيان للفعل حاجَّ في بداية الآية، وكانت هذه المحاجَّة حين كسَّر إبراهيم –عليه السَّلام– الأصنام وسجنه "النَّمرود(*)"، ولما سمع إبراهيم –عليه السَّلام– جوابه الأحمق لم يحاجَّهُ فيه، ولكن انتقل وغيَّرَ حُجَّتهُ إلى ما لم يقدر إلى نحو ذلك الجواب فمغالطة النَّمرود وإيهامه وتمويهه وتظليله من أجل أن يحافظ على مكانته (الملك) وإصراره على العناد والمكابرة مستندا على الحجاج بالمغالطة وهو دليل فاسد»[1].

وفي هذا السياق بيَّن "السَّمرقندي" آلية الحوار الَّذي دار بين النَّمرود والنَّبي إبراهيم–عليه السَّلام– في قضيَّة الإحياء والإماتة، فاتَّسمت طبيعة هذه المحاورة بمراجعة الكلام عن طريق جملة من الأسئلة (الأخذ والعطاء)، فلمَّا دخل إبراهيم– عليه السَّلام– على تلك الأصنام أبَى أن يسجد لها، «فقال له النَّمرود"مالك لم تسجد؟ فقال: "أنا لاأسجد إلَّا لربي" فقال النَّمرود: "من ربك؟ "فقال له إبراهيم–عليه السَّلام–: "ربي الَّذي يحيي ويميت"، قال له النَّمرود: "أنا أُحيي وأميت"، قال إبراهيم –عليه السَّلام–"كيف تحيي وتميت" فجاءه برجلين فقتل أحدهما وخلَّى سبيل الآخر، ثم قال: قد أمتُّ أحدهما وأحييتُ الآخر، قال له إبراهيم –عليه السَّلام– : إنَّك قد أحييت الحيَّ ولم تحيي الميِّت فإنَّ ربِّي يحيي الميِّت»[2].

فنظام التَّركيب في حجَّة إبراهيم –عليه السَّلام– يختلف عن نظام تركيب حجَّة نمرود، فإبراهيم –عليه السَّلام– المؤمن بالله والعارف به قال: "ربِّي الَّذي يحيي ويميت"، ولم يقل: "ربي يحيي ويميت" أي؛ أنَّ أمر الإحياء والإماتة من شأن الله وحده، هو المختص وحده بهذا الأمر، بينما النَّمرود قال: "أنا أحيي وأميت" وفي حُجَّته دليل لغوي واضح أنَّه غير مختص ولم يقدر عليه، وإنَّما ادِّعاء ومكابرة، فاختص إبراهيم –عليه السَّلام – من آيات الله بالإحياء والإماتة لأنَّهما أبدع آيات الله وأشهرها، وأدلها على تمكُّن القدرة، فكان

* – هو نمرود بن كنعان، وهو أول من تجبَّر وادَّعى الرُّبوبيَّة، مفاتيح الغيب، الرازي، ص23.

[1] – ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت427هـ–538هـ)، تح، عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العين، الرياض، ط1، 1418هـ – 1998م، ج1، ص489.

[2]– بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي(ت373هـ)، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير، دط، ج1، ص170، 171.

لهذا التَّركيب دور فعَّال في تقوية حُجَّة إبراهيم –عليه السَّلام– وبراعة أسلوبه الحِجاجي، ممَّا أدَّى إلى إضعاف وإخماد حجَّة النَّمرود»[1].

فلمَّا اِدَّعى الملك النَّمرود هذه المكابرة ردَّ عليه إبراهيم–عليه السَّلام– بقوله: "فإنَّ الله يأتي بالشَّمس من المشرق..."، فإبراهيم –عليه السَّلام– يؤكِّد حجَّته بالعامل "إنَّ"، وغرضه تقوية الحجَّة الأولى (قضيَّة إحياء الرجل وإماتة الآخر)، وهذا يُبيِّن أنَّ المحاجَّ (النَّمرود) لم يفهم ولم يستوعب وجه الدَّلالة من الأول فانتقل به إبراهيم –عليه السَّلام– إلى حجَّة داحضة مقنعة صائبة، أو بالأحرى استدلال لم يجد له (النَّمرود) وجهًا أو خلاصًا منه»[2].

وبَيَّن "ابن كثير" أنَّ هذه الشَّمس تبدو كل يوم من المشرق، فإن كنت إلهًا كما اِدَّعيت فأتِ بها من المغرب؟ فلمَّا علم عجزه وانقطاعه، وأنَّه لم يقدر على المكابرة في هذا المقام "فَبُهِت" أي؛ سكت فأخرس فلم يتكلَّم، وقامت عليه الحجَّة، فجاء قوله تعالى: "والله لا يهدي القوم الظَّالمين" بمعنى؛ لا يلهمهم حجَّةً ولا برهانًا بل حجَّتُهم داحضة عند ربِّهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد، والحجَّة **الأولى**: كانت حجَّةً عقلية مُمَحَّصَة ومنطقيَّة، وليس بإمكان أيِّ عاقلٍ أن يوهمها، وكان هدف إبراهيم –عليه السَّلام – من هذه المناظرة هو إدراك وتصويب رأي النَّمرود القائم على العقل والمنطق دون أيِّ تشويش وتعكير»[3].

وفي سياق هذه الآية قال "السَّمرقندي": في إنَّ إبراهيم –عليه السَّلام– اِنتقل من الحجَّة الأولى (قضيَّة الإحياء والإماتة) إلى حجَّة أخرى والانتقال في المناظرة من حجَّة إلى حجَّة غير محمود وهو على ضربين: "انتقال محمود إذا كان بعد الإلزام"، "وانتقال مذموم إذا كان قبل الإلزام"، وإبراهيم –عليه السَّلام– انتقل بعد الإلزام، لأنَّه قد تبيَّنَ له فساد قوله، حيث قال له: "إنَّك قد أحييت الحيَّ ولم تحيي الميِّت"، فقد كان قصد إبراهيم –عليه السَّلام– إظهار الحُجَّة، وعدم الإطالة في البرهان الأول، (الإحياء والإماتة)، فمن أبلغ مايقطع به الخصوم ترك الإطالة، لأنَّ الكافر هو الَّذي ترك حدّ النَّظر، لأنَّه لم يبادر بطرح الأسئلة عما قال له إبراهيم –عليه السَّلام– واشتغل، بالجواب عن نفسه حيث قال: "أنا أحيي وأميت "، وبالرَّغم من هذا كله إلَّا أنَّ إبراهيم –عليه السَّلام– ما رام حتَّى أتاه بما لم يُمكِّنْهُ دفْعَهُ بحالٍ ولا معارضة، وهذا دليل واضح

---

[1] – ينظر: البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي(ت740هـ)، تح، عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ-1994م، ج2، ص299.

[2] – ينظر: مفاتيح الغيب، الرَّازي، ج7، ص181.

[3] – ينظر: القرآن العظيم، ابن كثير الدَّمشقي، ج2، ص451.

على قوة سيِّدنا إبراهيم-عليه السَّلام- في تعجيز الملك النَّمرود، إذ طلب منه إحداث حركة الشُّروق من المغرب فانقطع وبُهِتَ ولم يَسْطَعْ أن يلجأ إلى معارضة أو شبهةٍ وفي حِجاج إبراهيم - عليه السَّلام- بهذا اللُّطف دليل واضح، وأوضح برهان لمن عرف معناه »[1].

إنَّ غياب صوت النَّمرود في النِّهاية (فبهت الَّذي كفر)، يدلُّ على أنَّ حجَّة سيِّدنا إبراهيم –عليه السَّلام- أعجزته عن الرَّدِّ، إنَّ هذا الغياب على مستوى البِنْيَة له دلالة حاجيَّة هامَّة، أكَّده قوله تعالى: "والله لا يهدي القوم الظَّالمين" فانتفى هدي الله للقوم الظَّالمين، «لأنَّ الظُّلم حائلٌ بين صاحبه وبين التَّنازل إلى التَّأمل من الحجج وإعمال النَّظر فيما فيه النَّفع، إذ الذِّهن في شاغل عن ذلك بزهوه وغروره»[2]، ففشل العلاقة الحواريَّة بين المتناظرين بسكوت النَّمرود، أفضت بالمناظرة إلى غلبة حجَّة سيِّدنا إبراهيم –عليه السَّلام- وسحب سلطة النَّمرود، وفي الآية دليل على جواز المجادلة والمناظرة في إثبات العقائد.

ومن خلال أقوال المفسرين نجد الآية الكريمة قد تضمَّنت الآليات التَّالية :

1- فقد استهلت الآية بخطاب ضمني من خلال صيغة الاستفهام "ألم تر"، الَّذي كان غرضه لفت الانتباه لقضيَّة الإحياء والإماتة والملك .

2- أمَّا الحوار فيظهر من خلال الأسئلة والأجوبة الَّتي دارت بين النَّمرود وإبراهيم-عليه السَّلام- (قال إبراهيم ربِّي الَّذي يُحيي ويمُيت، قال أنا أحيي وأميت).

3- أمَّا الجدل فتجلى في إتيان إبراهيم –عليه السَّلام- بحُجَّة أولى (الإحياء والإماتة)، وحُجَّة ثانية (إحداث حركة الشُّروق من المغرب) داحضة لاعتقادات النَّمرود المغالطة الَّتي أتى بها عندما ادَّعى وصنع حُجَّة لنفسه (أنا أحيي وأميت) ليوهم بها المجادل (إبراهيم –عليه السَّلام-)، عندما أقام عليه إبراهيم-عليه السَّلام- حجَّته المسكتة فأبهته إبهاتًا.

4- وتبرز المناظرة من خلال المقابلة في الحجج بين إبراهيم –عليه السَّلام- والملك النَّمرود، حيث كلَّما كان يطلب منه القيام بأمر إلهي كان يردُّ عيله بنظيره وإن كان هذا الرَّد مغالطة وسفسطة .

ونجد الآية كذلك تضمَّنت الرَّوابط الحجاجيَّة كالأمر "فأتِ"، والاستفهام "ألم تر"، والأسلوب الخبري (قال إبراهيم الَّذي يحيي ويميت) واستعمل المؤكِّد "إنَّ" (فإنَّ الله يأتي بالشَّمس ...)، وقد أدَّت هذه الرَّوابط نوعًا من الانسجام والتَّرابط وتقوية البناء، وبراعة الأسلوب، ممَّا زاد في تفعيل الأسلوب الحجاجي.

---

[1] -ينظر: بحر العلوم، السَّمرقندي، ج1، ص171.

[2] - التَّحرير والتَّنوير، الطَّاهر بن عاشور، ج3، ص34.

ملحوظة:

نستخلص من هذا أنَّ "أسلوب المناظرة "، مبني على جوانب تداولية بين المتناظرين وقام على علاقتين: علاقة استدلاليَّة مبنيَّة على دعوة واعتراض عليها، وعلاقة تخاطبيَّة قائمة على جانبين: جانب تواصلي (إبلاغي)، وجانب تعاملي (أخلاقي)، فقد كانت أقوال المتناظرين مناسبة للهدف المرسوم لها (أنَّ الله – سبحانه وتعالى– القادر الأحد الصَّمد العارف بأحوال الكون فإذا أراد أمرًا أن يكون فيكون)، إذ يستحضر كلُّ مناظر في أقواله مامن شأنه أن يساعده على إبلاغ قصده إلى غيره .

ورُوي في تفسير "تيسير العلي القدير" أنَّ الملك النَّمرود ظلَّ معاندًا رغم خرسه عن الجواب، ولم يؤمن بالله –عزَّ وجلَّ– الَّذي هو يحيي ويميت لذا فقد أرسل الله عليه وعلى قومه بابًا من البعوض بحيث لم يرو عين الشَّمس، وسلَّطها الله عليهم فأكلت لحومهم ودماءهم وتركتهم عظامًا بالية، ودخلت واحدة منها في منخري الملك فمكث في منخريه أربعمائة سنة عذَّبه الله بها، فكان يضرب برأسه بالمزارب مدَّة من الزمن حتَّى أهلكه الله بها»[1].

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾[2].

وضَحَّ "الزمخشري " أنَّ الضَّمير في "قالوا" لأهل الكتاب في اليهود والنَّصارى بقرينة قوله (إلَّا من كان هودًا أو نصارى)، والمعنى قالت النَّصارى: "لن يدخلَ الجنَّة إلَّا من كان نصرانيًّا"، وقالت اليهود: "لن يدخل الجنَّة إلَّامن كان يهوديًّا"، فلفَّ بين القولين ثقة بأنَّ السَّامع يَرُدُّ إلى كلِّ فريق قوله: "وأَمْنًا منَ الإلتِبَاسِ لَمَّا عُلِمَ من التَّعَادِي بين الفريقين وتظليل كلِّ واحد منهما لصاحبه"»[3].

أي أنَّ الله تعالى في هذه الآية يبيِّن غرور اليهود والنَّصارى وتعاليهم بما هم فيه، حيث اِدَّعت وحكمت كلُّ طائفة منهم، أنَّه لن يدخل الجنَّة إلَّا من كان على ملَّتِهم واتِّباعهم، وقوله: "تلك أمانيهم" أي؛ لا يَنْزِل على المؤمنين خير من ربهم وأُمنيتُهم أن يَرُدُّوهم كفارًا...لا يدخل الجنَّة غيرهم؛ بمعنى تلك الأماني الباطلة أمانيهم»[4].

---

[1]–ينظر: القرآن العظيم، بن كثير الَّدمشقي، ج2، ص452.

[2]–سورة البقرة، الآية : 111.

[3]– ينظر: الكشَّاف، الزَّمخشري، ج1، ص177.

[4] – ينظر: الكشاف، الزمخشري، ص178.

أمَّا في قوله: "قل هاتوا برهانكم ..."، فهو أمر بأن يجابوا بهذا، لأنَّه من الله –عزَّ وجلَّ– عن سفسطتهم وافترائهم، ثمَّ أمر نبيَّهم أن يدعوهم إلى إتيان دليلهم على قولهم إن كانوا صادقين في اِدِّعائهم لذلك فَصَلهُ لأنَّه في سياق المحاورة، ووظَّف "إنْ" المفيدة للشَّك في صدقهم مع القطع بعدم الصِّدق لاستدراجهم حتَّى يعلموا أنَّهم غير صادقين حين يعجزوا عن البرهان؛ لأنَّ كلّ اِعتقاد دون دليل اِعتقاد باطل»[1].

ويضيف" الزَّمخشري" قائلًا: هَلُمُّوا حجَّتَكم على اِختصَاصِكم بدخول الجنَّة "إن كنتم صادقين" في دعواكم...وكل قول لا دليل عليه فهو غير ثابت وباطل، ومفترى عليه "وهات" صوت بمنزلة هاء؛ بمعنى أحضر(أدلوا، وآتوا) بما عندكم إن كنتم أصدق أنباء مما جاء في كتابي »[2].

من خلال شرح المفسرين يتَّضح لنا أنَّ السِّياق العام للآية، يتمحور حول تعالي وغرور اليهود والنَّصارى، وافترائهم بالباطل، فكانوا يرون أنَّ دينهم دين حق، ولادِّعائهم وتصويبهم للكذب على الله – سبحانه وتعالى– يأتون بحجج وبراهين ويقيمون حوارات ليفسدوا ماجاء به المولى –عزَّ وجلَّ– وقد ردَّ على تلك الافتراضات ودعاهم إلى احضار الدَّليل والحجَّة، للإثبات على صحَّة مايقولون .

كما نجد هذه اللآية قد اِحتوت على آليتين وهما: آليتَا الحوار والبرهان، فقد رأينا أنَّ الحوار يظهر في اختصام نصارى نجران ويهود المدينة، وتناظرهم بين يدي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أمَّا البرهان فقد تجلَّى في قوله "قل هاتوا برهانكم ..." وهذا بُبَيِّن أنَّ هناك طرفًا آخر في حوار ومحاجَّة، مطالبًا ومستدرجًا الخصم بإحضار الدَّليل اليقيني العقلي الموصل إلى الحُجَّة والبرهان، وجاء التَّركيب اللُّغوي لحجَّتهم بأسلوب الحصر "لن، إلَّا" كقولنا : "لن ينجح إلَّا المجدُّ" أي؛ ما لم يتَّصف بصفة الجدّ لن ينجح، كذلك هم قالوا: "لن يدخل الجنَّة إلَّا من كان هودًا أو نصارى"، وهنا أخرجوا كلّ من ليس منهم، وهذا تظاهر وتطاول على الله لأنَّ ذلك ليس من شأنهم بل من شأن الله، ولكنَّهم أرادوا أن يبيِّنوا أنَّهم هم لوحدهم أصحاب الحق والصَّلاح والجاه والرِّفعة...، فلذلك يستحقون الجنَّة دون سواهم.

مرورًا إلى صيغة الأمر في قوله: "قل هاتوا برهانكم..." الَّذي أفاد الإلحاح في طلب الحجَّة والدَّليل فالغرض من هذه الرَّوابط الحِجاجية، صدق دعوى كانت لدى الكفار مغالطة وموهمة، وفيها نوع من السَّفسطة.

[1] – ينظر: التَّحرير والتَّنوير، الطَّاهر بن عاشور، ج1، ص674.

[2] – ينظر: الكشَّاف، الزَّمخشري، ج1، ص178.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ [1].

ففي قوله: "وإذ قال إبراهيم...في ضلال مبين"، أنَّ إبراهيم –عليه السَّلام– يخاطب أباه " آزر[*]" فكلمة آزر جاءت على وزن أفعل، وهو بموضع الخفض، فهو اسم أعجمي لاينصرف، وأردف هذه الكلمة بالفعل"أتتخذ" المستهل بهمزة الاستفهام، وفيه دليل على الإنكار على من أمر الإنسان بإكرامه إذا لم يكن على طريقة مستقيمة، وهذا إنكار من إبراهيم –عليه السَّلام– على أبيه ، إخبار على الخطأ والجهل البيِّن في عبادة الأصنام فإبراهيم –عليه السَّلام– يؤكد ويُصِرْ بخطابه هذا لكل من أبيه وأتباعه المشركين وأنَّ مصيرهم الضَّلال المبين »[2].

فقد ابتدأ إبراهيم –عليه السَّلام– خطابه "أتتَّخذ...ضلال مبين" باعتماده على حُجَّة الاشتغال بعبادة الأصل (الله–سبحانه وتعالى–) أولى من الاشتغال بعبادة الفرع (الأصنام)، فوظَّف الحجَّة العقليَّة لإثبات فساد القول بعبادة الأصنام منكرًا على أبيه أمرين، **أولهما**: جعله الصُّورة آلهة مع أنَّها ظاهرة الإنحطاط عن

---

[1] – سورة الأنعام، الآيات : 74 –83.

[*] – آزر: اسم أبي إبراهيم، وهو تَارِخُ أيضا، مثل: إسرائيل ويعقوب، وكان من كَوْثىَ قريةً من سواد الكوفةِ، وقال سليمان التَّيمي: هو سب وعيب،ومعناه في كلامهم المُعْوجُّ، وقيل: معناه الشيخ الهرم بالفارسية، معالم التنزيل في تفسير القرآن العظيم، محي السُّنة، أبو محمد الحسين بن مسعد بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، ج2، ص136.

[2] – ينظر: بحر العلوم، السَّمرقندي، ج1، ص460.

صفة الإلهية (عبادة الأصل أولى من عبادة الفرع)، **وثانيها**: تعدد الآلهة، فقال: أتتخذ أصناماً آلهة " بصيغة الجمع" (تعدد الآلهة) فنتيجة القول في هذا الكلام، أن عبادة الاصنام باطلة»[1].

فجعل إبراهيم من النَّتيجة حُجَّة أكَّد من خلالها أنَّ ضلالهم بيِّن فقال "إنِّي أراك وقومك في ضلال مبين"، وأكَّد النَّتيجة بحرف التَّأكيد "إنَّ" لما يتضمنهُ ذلك الخبر من كون ضلالهم بيِّنًا، ووصف الضَّلال ب«مبينٍ نداءٌ على قوَّة فساد عقولهم حيث لم يتفطَّنوا لضلالهم مع أنَّه كالمشاهد المرئي»[2].

وفي سياق قوله "وكذلك نري...من الموقنين" جملة اعتراضيَّة بين قوله"وإذ قال إبراهيم" منكرًا على أبيه عبادة الأصنام، وبين جملة الاستدلال عليهم لإفراد المعبود وكونه لا يشبه المخلوقين ويرى بمعنى أريناه وهي حكاية حال أي؛ رأى ببصره الملكوت الأعلى والملكوت الأسفل (عجائب الدُّنيا وغرائبها) ورأى مقامه في الجنَّة، وهذا ماناسب قوله –صلى الله عليه وسلم- "كشف الله له عن السَّموات والأرض حتَّى العرش وأسفل الأرضين" ويعني الرُّبوبية والإلهيَّة وتوفقه لمعرفتهما، وإرشاده بما شرح الله صدره، وسدَّد نظره لطريقة الاستدلال "وليكون من الموقنين" عطف على المعنى، ومعناه نُرِيَهُ ملكوت السَّموات والأرض ليستدل به وليكون من الموقنين ويقيم الحجَّة على قومه بوحدانيَّة الله، وقدرته وبنبوَّته ورسالته»[3].

وقوله: "فلمَّا أفل ...وما أنا من المشركين "، هنا الفاء رابطة لجملة مابعدها بما قبلها، وجملة "قال هذا ربِّي"، على سبيل الاستفهام على جهة الإنكار، فلمَّا غاب الكوكب، قال: لا أحب ربَّنَا يتغيَّر من حالة ويزول، "فلمَّا رأى القمر بازغًا" رأى ضوء أكثر سطوعًا ولما نقص ضوؤه أسفر الصبح، قال: لئن يحفظ ربِّي قلبي لقد كنت اتَّخذت إلهًا ما لم يكن إلهًا، وحين رأى الشَّمس ملأت الدُّنيا بنورها، قال: "هذا ربِّي أكبر" أي؛ أعظم وأكثر نورًا، ولما غربت علم أنَّه ليس بإله حينها جاءت أمه، فقال لها: من ربِّي؟ قالت: أنا، قال: ومن ربُّكِ، قالت أبوكَ، قال: ومن ربُّ أبي؟ قالت: نمرود بن كنعان، قال: ومن ربه، فقالت له أسكت فقال لها: كيف هو؟ هل يأكل ويشرب وينام ؟! قالت: نعم، فقال لها: هذا لا يصلح أن يكون ربًا وإلها فرجعت الأم إلى زوجها وأخبرته بالقصَّة فخرج إليه فسأله مثلما سألته الوالدة ثم طلب منه (إبراهيم –عليه السَّلام-) في الأخير بقوله: تعال حتَّى تعبد الَّذي خلقني وخلقك وخلق نمرود، فغضب أبوه،

[1] – ينظر: مفاتيح الغيب، الرَّازي، ج13، ص39.

[2] – التَّحرير والتَّنوير، الطَّاهر بن عاشور، ج7، ص314.

[3] – ينظر: بحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج4، ص170.

ثم رجع إليه مرة أخرى، وقال: أدخل المِصرَ لتكون معنا، فدخل فرأى القوم ضالِّين مشركين بالله فقال: "إنِّي بريء مما تشركون" وأنا أعبد الله الَّذي خلقني وخلق السَّموات والأرض»[1].

ويذكر"البغوي" في هذا المقام أوجهًا متنوعة، **أحدهما**: أنَّ إبراهيم –عليه السَّلام– أراد أن يستدرج القوم بهذا القول، لإظهار الحُجَّة ويعرِّفهم خطأهم وجهلهم في تعظيم ماعظَّموه، حتَّى يثبت بحججه العقليَّة المنطقيَّة، المتمثِّلة في إحداث موازنة بين مخلوقات الله والأصنام الَّتي لا يبدى منها إلَّا الثَّبات، والَّتي لا تسمن ولا تغني من جوع، أمَّا **الوجه الثَّاني**: فقاله على وجه الاستفهام والتَّقدير"أهذا ربِّي؟"، **وثالثها**: أنَّه ذُكِرَ على وجه الاحتجاج عليهم، يقول: "هذا ربِّي بزعمكم فلمَّا غاب"، قال: لو كان إلهًا ماغاب، أمَّا **الوجه الرَّابع**: فيه إضمار وخفاء، وتقديره يقولون "هذا ربِّي"، وهذه الأخيرة لها قصدان، فعند إبراهيم (الله– سبحانه وتعالى–)، وعند قومه (الأصنام)»[2].

وهنا إبراهيم –عليه السَّلام– استدرج قومه للوصول بهم إلى التَّوحيد، فبرهن على عدم استحقاق هذه الآلهة للعبادة من خلال قوله: "هذا ربِّي!" على سبيل آلهتكم، معددًا آلهتهم (الشَّمس، القم، الكواكب) الَّتي تتَّصف جميعها بأفول، فآلهة مصيرها الأفول متغيِّرة من حال إلى حال، متنقلة من مكان إلى مكان لا تستحق أن تعبد، فكأنه قد وصل بالمنطق إلى أن عبادة كهذه لا تصلح، فيقتنعون بعد ذلك بالتَّوحيد «هذه المباحثة إنَّما جرت مع قومه من أجل أن يرشدهم من الإيمان والتَّوحيد لا لأجل أن إبراهيم –عليه السَّلام– كان يطلب الدِّين والمعرفة لنفسه»[3]، فحقيقة هذا الحجاج إنَّما يدور بين طرفين هما: إبراهيم– عليه السَّلام– وقومه، عكس مايظهر من كونه حجاج إبراهيم– عليه السَّلام – لنفسه .

وابتدأ إبراهيم –عليه السَّلام– بأفول الكوكب والانتقال بعدها إلى القمر، ثم إلى الشَّمس الَّتي هي أكبرهم، توحي إلى آلية حجاجيَّة ذكرها "الرَّازي" في"مفاتيح الغيب" «إنَّ الأخذ من الأدون، فالأدون مترقيًا إلى الأعلى فالأعلى له نوع تأثير في التَّقرير والبيان، والتَّأكيد لايحصل من غيره، فكان ذكره على هذا الوجه أولى »[4].

---

[1] – ينظر: بحر العلوم، السَّمرقندي، ج1، ص462.

[2] – ينظر: معالم التَّنزيل، في تفسير القرآن العظيم، محي السُّنة أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت510هـ)، تح، عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ، ج2، ص139.

[3]– مفاتيح الغيب، الرَّازي، ج13 ، ص40.

[4] –المصدر نفسه ، ص46.

فقد كان حجاج إبراهيم –عليه السَّلام– عن طريق الاستدلال، الَّذي يؤدِّي في النِّهاية إلى أنَّ لا شيء من هذه الأجرام يصحُّ أن يكون معبودًا، فأنكر إبراهيم –عليه السَّلام– ربوبيَّة الكوكب بحجَّة أنَّه لا يحب الأفلين، والحب هنا بمعنى الرِّضا والإرادة: أي لا أرضى بالآفل إلهًا؛ ويعني الأفول عدم استحقاق الإلهية، وقد بنى هذا الاستدلال على ماهو شائع عند القوم، من كون أفول النَّجم مغيبًا عن هذا العالم، يعني أن مايغيب لا يستحق أن يتَّخذ إلهًا لأنَّه لايغنى عن عباده في مايحتاجونه حين مغيبه»[1].

فمن أجل أن يقنع إبراهيم –عليه السَّلام– قومه بعقيدة التَّوحيد، انطلق معهم في هذا الحوار المفتوح فعمد إلى الشَّك بتساؤله عن حقيقة تلك الكواكب الَّتي تُعبد، فاستدرج قومه وأقام الاستدلال من خلال تلك الأسئلة المثيرة للعقل فلم يقل: "هذا ربِّي" على سبيل الإخبار، وإنَّما كان الغرض منه أنه كان يخاطب عبدة الكوكب الطَّاعنين في دين الله، الَّذي كان مذهبهم أنَّ الكوكب ربهم وإلاههم، فذكر إبراهيم –عليه السَّلام– ذلك القول الَّذي قالوه بلفظهم وعبارتهم حتَّى يرجع إليه فيبطله، ثم ذكرعقيبة ما يدلُّ على فساده وهو قوله: "لا أحب الآفلين" وهذا الوجه هو المعتمد في الجواب، فلمَّا أفل قال: هذا لا يصلح أن يكون ربًا لأنَّه غاب ،ولما" رأى القمر بازغًا"،قال: "هذا ربِّي" حتَّى يشعرهم أنَّه واحد منهم يبحث عن الحق، فلمَّا أفل انتظروا منه جوابًا، فكان جوابه مثيرًا للشَّك في نفوسهم فقال: "لئن لم يهدني ربِّي لأكوننَّ من القوم الضَّالين"، وفي هذا تلميح وتهيئة لنفوس قومه لما أقام عليهم العزم والإصرار بالتَّصريح بأنَّه له رب غير الَّذي هم عابدوه، ثم عرَّض لقومه أنهَّم ضالُّون، وهيَّأهم قبل المصارحة للعلم بأنَّهم ضالُّون»[2].

ليدخل على نفوسهم الشَّك مرة أخرى في معتقدهم أن يكون ضلالًا، وليكونوا قومًا ضالِّين، ولما رأى الشَّمس قال: "هذا ربِّي" لأنَّه أكبر والأكثر إضاءة أولى باستحقاق الإلهيَّة وهذا حتَّى يهيِّأهم للجوا ب بعد أفول الشَّمس فقال: "قال ياقوم إنِّي بريء مما تشركون "، وهذا إقناع بأن لا يحاولوا موافقته إيَّاهم على ضلالهم، لأنَّه لما انتفى استحقاق الإلهيَّة عن أعظم الكواكب الَّتي عبدوها، فقد انتفى عما دونها، ومن هذا

[1] – ينظر: التَّحرير والتَّنوير، الطَّاهر بن عاشور، ج7، ص320.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص 321.

توصَّل إبراهيم–عليه السَّلام– من هذه المقدمات المنطقيَّة الَّتي بناهَا على أساس المشاهدة والمسائلة وما هو معروف في العقول، إلى نتيجة حتميَّة صائبة، وهي أنَّه خارج عن حيِّز شركهم، فجوابه– عليه السَّلام– "إنِّي وجهت وجهي للَّذي فطر السَّموات والأرض" يوحي أيضًا بسؤال مفترض من القوم: وما تعبد؟ فيقدم سيِّدنا إبراهيم –عليه السَّلام– برهانه واستدلاله لقومه، إنَّه يعبد الله وحده الَّذي خلق السَّموات والأرض»[1].

من خلال آراء المفسرين لهذا الآيات الأولى، نجدها قد تضمَّنت آلية الحوار الَّتي دارت بين النَّبي إبراهيم –عليه السَّلام– وأبيه في قوله: "وإذ قال إبراهيم لأبيهِ آزر أتتَّخذ أصنامًا "، وهو استفهام إنكاري على عبادة الأصنام، كما نجده قد استعمل في محاججته الحواريَّة والجدليَّة أساليب منها: توظيفه للمؤكِّد "إنَّ" في قوله: "إنِّي أراك وقومك في ضلال مبين "، فقد أكَّد إبراهيم – عليه السَّلام– بهذا على جزاء من يعبد الأصنام (وقوعهم في الجهل والضَّلال المبين)، ونون التَّوكيد الثَّقيلةفي قوله: "لأكوننَّ "، الَّتي أفادت العزم والإصرار وتوكيد إبراهيم –عليه السَّلام– على إن لم يهده ربَّه ليكوننَّ من القوم الظَّالين، واستخدم النَّهي في قوله "لا أحبُّ الآفلين"، وهذا دليل على أنَّ الله– سبحانه وتعالى– ثابت حق معبود لوحده لا يتغيَّر أمَّا الأصنام قابلة للزَّوال والتَّغيير، وبحكمه هذا فضَّل الله على عبادة الأصنام، ثم ينتقل إلى النِّداء بقوله: "ياقوم إنِّي بريء مما تشركون" فغرضه لفت انتباه سادة القوم بعد تأكُّده من ضلالهم المبين (الشِّرك) فصرَّح لهم بأنَّه بريء من شركهم هذا المتَمَسِّكِينَ به.

فجاء هذا التَّركيب اللُّغوي المشحون بهذه الرَّوابط، مؤثِّرًا قويًّا ومنسجمًا ممَّا زاد في فعاليَّة آلية الحوار المتضمِّنة في هذا الجزء من اللآية الكريمة والَّتي تبرز في قوله: "قال إبراهيم لأبيه...فلمَّا رأى كوكبًا، قال: هذا ربِّي..، فلمَّا أفل قال: لا أحبُّ الآفلين..، فلمَّا رأى القمر بازغًا قال: هذا ربِّي...، فلمَّا رأى الشَّمس ...قال:...إنِّي بريء ممَّا تشركون"، فتكرار الفعل "قال" في كلِّ مرة للفت انتباه الملأ بأنَّ عبادة الأصنام زائلة وآفلة فهي مثل المجموعة الشَّمسية في الظُّهور والغياب بينما خالقها ومحرِّكها واحد أحد ثابت، وإنَّما احتجَّ –عليه السَّلام– بالأفول دون البزوغ، دليل على انتقاله وتعدُّد دلالاته وبراهينه، وإنَّ ترتيب هذا الحكم ونظيريه على الأفول دون البزوغ والظُّهور من ضروريات سوق الاحتجاج على هذا المساق الحكيم، فقد استدلَّ إبراهيم –عليه السَّلام– بالأفول لأنَّها لا يجوز أن تكون أربابًا مستحقَّة لأن يشتغل المرء بعبادتها وشكرها «مثلما تدلُّ على حدوثها وحدوثها يدلُّ على اِفتقارها إلى فاعل قديم قادر قدرة أزليَّة، فاحتجَّ

[1]– ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ص322.

بالتَّعبير على الحُدوثِ والحدوُثُ على المحْدثِ»[1]، فأراد إبراهيم –عليه السَّلام – بقياس اِقتراني أن يبرهن لهم أنَّ الكواكب ليست بِآلهة، هذه هي الحجَّة الَّتي قدَّمها إبراهيم –عليه السَّلام– وهذا ماذهب إليه الإمام "الرَّازي"، إذن كلُّها حُجج عقليَّة ذاعنة بوجود الله ووحدانيته، وبهذا أعلن إبراهيم –عليه السَّلام– براءته وتأكيده في ختام مناظرته ممَّا يزعمون من الشُّركاء، وأسلم وجهه لفاطر السَّموات والأرض ومبدعهما دون شريك له، وضمَّن إعلان النَّتيجة، الاستدلال بتوحيد الرُّبوبيَّة على توحيد الألوهيَّة بقوله: "ياقوم إنِّي بريء ممَّا تشركون إنِّي وجَّهت وجهي للَّذي فطر السَّموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين ".

ففي قوله (وحاجَّه قومه...إنَّ ربَّك حكيم عليم) أي؛ خاصموه في دين الله، وخصومتهم هذه ناتجة عن تحطيمه وإعابته لهذه الأصنام، وهذه مفاعلة بين اِثنين مختلفين في حكمين يُدلي كلٌّ منهما بحجَّته على صدق وصحَّة دعواه، بمعنى حاجَّه قومه في توحيد الله ونَفْي الشُّركاء عنه، فأجابهم بأنَّ الله قد هداه بالبرهان القاطع على توحيده ورفض ماسواه، وأنَّه لايخاف من آلهتهم، فقال لهم: ولا أخاف ماتشركون إلاَّ أن يشاء ربِّي شيئًا، وهذا استثناء منقطع؛ معناه لكن إنْ يشأ ربِّي شيئًا أي؛ سوءً فأحاط علمه بكلِّ شيء أفلا تتذكَّرون، فهو ينبههم على غفلتهم بأنَّهم عبدوا ما لا يضرُّ ولاينفع وأشركوا بالله، وعلى ماحاجَّهم به من إظهار الدَّلائل الَّتي أقامها على عدم صلاحيَّة هذه الأصنام للرُّبوبيَّة»[2].

وقوله: (كيف أخاف ماأشركتم ...سلطانًا)، ففي "كيف" معنى الإنكار، فقد أنكر عليهم تخويفهم إيَّاه بالأصنام وهم لايخافون الله –عزَّ وجلَّ– فكأنَّه يتعجَّب من فساد عقولهم وهم لا يخافون شركهم بالله،وهو الَّذي بيده النَّفع والضرُّ "ولاتخافون"، معطوف على "أخاف" فهو داخل في التَّعجب والإنكار وقد أقام عليهم دليلاً عقليًا على بطلان الشُّركاء وربوبيَّتهم، كما أنَّه نفى أيضًا أن يكون على ذلك دليل سمعي أي؛ أنَّ ذلك ممتنع عقلاً وسمعًا، "فأيُّ الفريقين...تعلمون" فلمَّا خوَّفوه في مكان الأمن ولم يخافوا في مكان الخوف أبرز الاستفهام في صورة الاحتمال وإن كان قد علم قطعًا أنَّه هو الآمن لا هم،"وأيُّ" تعني فريق المشركين وفريق الموحِّدين»[3].

---

[1] – البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، ط3، ج3، ص470.

[2] – ينظر: البحر الميحط، أبو حيان الأندلسي، ج4، ص174.

[3] – ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج7، ص30.

فقال الله قاضيًا بينهم: "الَّذين آمنوا...وهم مهتدون"، والظَّاهر أنَّه من كلام إبراهيم- عليه السَّلام- لما استفهمهم استفهام علمٍ بمن هو الآمن، وأبرزه في صورة السَّائل الَّذي لا يعلم، واستأنف الجواب عن السُّؤال بقوله: "الَّذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم" بشركٍ عن الصدِّيق –رضي الله عنه- "أولئك لهم الأمن وهم مهتدون"، ثمَّ كلام إبراهيم –عليه السَّلام- أي؛ لم يخلطو إيمانهم بمعصيةٍ تفسُّقِهم فالفاسق ليس له الأمن إذا مات مُصرًّا على الكبيرة»[1].

"وتلك حجَّتنا...قومه "تلك" إشارة إلى جميع احتجاجاته من قوله: "فلمَّا جنَّ عليه اللَّيل" إلى قوله: "وهم مهتدون" حتَّى خاصمهم وغلبهم بالحجَّة، وكان المضاف إليه بنون العظمةِ لإيتاء المتكلم "وآتيناها" أي؛ أحضرناها بباله وخلقناها في نفسه، إذ هي من الحجج العقليَّة وهي حجَّة على قومه ودليلٍ قاهرٌ، وفي قوله: "نرفع درجات من نشاء" أي؛ مراتب ومنزلة من نشاء وأصل الدَّرجات في المكان ورفعها بالمعرفة وبخلوص العمل في الآخرة وبالثَّواب والجنَّة في الآخرة وبالحجَّة والبيان"، إنَّ ربَّك حكيم عليم" بمعنى حكيم في تقسيم عباده إلى عابد صنم وعابد لله، عليم بما يصدر بينهم من الاحتجاج"، وإنَّ ربَّك"تحتمل وجهين **الأول**: يحتمل أن يكون الخطاب للرَّسول –صلى الله عليه وسلم- **والثاني**: يحتمل أن يكون المراد به إبراهيم –عليه السَّلام- فيكون من باب الالتفات والخروج من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب على سبيل التَّشريف بالخطاب»[2].

ويتضمَّن الجزء الأخير من الآية "وحاجَّه قومه...حكيم عليم" الآليات والرَّوابط الحجاجيَّة الَّتي ساهمت في إثراء عنصر الحجاج والمتمثِّلة في: الجدال، نحو قوله: "وحاجَّه قومه...قال أتحاجوني في الله وقد هداني" وهو جدال وخصومة جرت أحداثها حول تحطيم إبراهيم –عليه السَّلام- للأصنام في غيبة القوم الظَّالين، وآلية الحوار كانت في سياق الجدال من خلال الاستفهام في قوله: "وكيف أخاف ماأشركتم به" فالقصد منه حيرة وتعجُّب إبراهيم –عليه السَّلام- من بقاء واستمرار القوم على جهلهم بعبادة هذه الآلهة لما قالوا له: احذر من آلهتنا أن تصيبك بعيب (مرض البرص...).

---

[1] – ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج4، ص175.

[2] – ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت710هـ)، تح، يوسف علي بديوي، مر، محي الدين ديب مستو، دار الكلمة الطبيب، بيروت، ط1، 1419هـ 1998م، ج1، ص518.

أمَّا المناظرة فتمثلت في الصِّراع الَّذي اِشتدَّ بين إبراهيم –عليه السَّلام– وبين قومه المشركين عبدة الأصنام، وانصب الجدال على ترك الشِّرك والوثنيَّة والإقرار بوحدانيَّة الله خالق الأشياء، وراجعوه في الحجَّة وفي توحيد الله، فلمَّا أفحمهم في المناظرة وأراد الأدلَّة العقليَّة القطعيَّة، لم يجدوا أمامهم سوى تقليد الآباء وخوَّفوهم بالبلايَا لما طعن في ألوهيَّة الأصنام، واستهجنوا جَعْل الآلهة إلهًا واحدًا، ويبيِّن الله – سبحانه وتعالى– هذه المناظرة في قوله: "وحاجَّه قومه...ونرفع درجات من نشاء إنَّ ربَّك حكيم عليم"، وهذا لون من الجدل الحاد في مبدأ التَّوحيد بين إبراهيم –عليه السَّلام– وبين قومه.

فكل هذه الآليات تشابكت وتداخلت فيما بينها وأنتجت مفاعلة حجاجيَّة تمثلت في قصة سيِّدنا إبراهيم –عليه االسَّلام – وتحطيمهم للأصنام ومحاولة القضاء على ديانة المشركين من قومه وأهله، وهذه الآليات بمثابة التِّقنيات الملفتة للانتباه والمؤثِّرة، فكانت سبيلًا لتوظيف واستخدام حُجَجهِ العقليَّة والوصول بها إلى تنوير عقول المشركين الفاسدة الطَّاعنة في الشِّرك بالله، ومازاد وفعَّل هذا النَّص الحجاجي أكثر، تنوُّع الرَّوابط الحجاجيَّة، كالاستفهام الإنكاري في قوله: "وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنَّكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانًا"، وغرضه التَّعجب والإنكار أي؛ تعجَّب من عقولهم»[1].

ثم عطف "ولا تخافون" "على "أخاف" فهو داخل في التَّعجب والإنكار كذلك، واختلف متعلق الخوف فبالنِّسبة إلى إبراهيم–عليه السَّلام– علَّق الخوف بالأصنام، وبالنِّسبة إليهم علَّقه بإشراكهم بالله تعالى تركًا للمقابلة، ولئلَّا يكون عديلَ أصنامهم ولو كان التَّركيب "ولاتخافون الله تعالى"، وأتى بلفظ "ما" الموضوعة لما لا يعقل، إذ هي حجارة وخشب وكواكب»[2].

وَيَبْـرُزُ الاستثناء في قوله: "ولا أخاف ماتشركون به إلاَّ أنْ يشاء ربِّي شيئًا" والرَّابط "قد" في قوله: "أتحاجُّوني في الله وقد هداني" الَّذي أفاد التَّحقيق،كما استعمل أداة التَّخيير "أيُّ" في قوله: "فأيُّ الفريقين أحقُّ بالأمن" وهنا التَّفريق بين فريق المشركين والموحِّدين، والمؤكِّد "إنَّ" في قوله: "إنَّ ربَّك حكيم عليم "ونون العظمة في "آتيناها"، واسم الإشارة في قوله: "وتلك حجَّتنا آتيناها إبراهيم"، بحيث ساعدته (النَّبي) في تمرير قضاياه العقليَّة الممحَّصة وصولًا إلى الإقناع والإذعان .

إنَّ دعوى إبراهيم –عليه السَّلام– الَّتي دعَا بها قومه في هذه المخاطبة، نجدها قد أخذت بُعدين: بعدًا مرحليا، كانت الدَّعوى فيه هي: اتِّهام قومه بأنَّهم في ضلال مبين إن هم لم يقلعوا على عبادة الأوثان في

[1] – ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج4، ص175.

[2] – ينظر : المصدر نفسه، ج4، ص175.

قوله: "أتتَّخذوا أصنامًا آلهة، إنِّي أراك وقومك في ضلال مبين"، وبعدًا غائيًا يُمهِّد له البعد المرحلي، وهو حمل القوم على كلمة التَّوحيد وعبادة المعبود الحق فاطر السَّموات والأرض، "إنِّي وجَّهت وجهي للَّذي فطر السَّموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين"، في حين كانت دعوى قومه تتمثَّل في أنَّ عبادة الأصنام من شأنها أن تقرِّب إلى الله .

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ۚ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [1].

معنى الآية في قوله: "ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه ...يوم أليم"، أنَّ الله أرسل نوحًا –عليه السَّلام– ملتبسًا بهذا الكلام كونه مبيِّنا ما أكَّد الله للمطيعين من الثَّواب أي؛ أنَّه بيَّن ذلك الإنذار على الطَّريق الأكمل والبيان الأقوى والأظهر، وإنَّما حصل هذا الإنذار في النَّهي عن عبادة الأوثان، وفي الأمر بعبادة الله لأنَّ قوله: "أنْ لا تعبدوا إلَّا الله"، استثناء من النَّفي وهو يوجب نفي غير المستثنى، وما إن حصل الألم العظيم في ذلك اليوم أسند الألم إلى اليوم كقولك: "نَهَارُكَ صَائِمٌ"، "وَلَيْلُكَ قَائِمٌ"، وهنا نجد النَّبي نوح – عليه السَّلام– يوجِّه خطابًا صريحًا إلى قومه، من خلال أوامره ونواهيه في إنذارهم»[2].

واستهلَّ قوله: بكلمة "ولقد" فالواو فيها لِلابتداء، "واللاَّم "هي الموطِّئة للقَسم واقتصر على النَّذارة دون البشارة، لأنَّ دعوته كانت لمجرد الإنذا، أو لكونهم لم يعلموا بما بشَّرهم به، وجملة: "أنْ لَا تعبدوا إلَّا الله" "فأَنْ" هنا مفسِّرة متعلِّقة بأرسلنا وانتقل بتلك الصِّياغة اللُّغويَّة من النَّهي إلى الاستثناء الَّذي خصَّ فيه

[1] – سورة هود، الآيات : 25–34.

[2]– ينظر: مفاتيح الغيب، الرَّازي، ج17، ص336.

العبادة لله وحده لا لغيره، كما نجده أضاف المؤكد "إنَّ" في قوله: "إنِّي لكم نذير مبين"، "إنِّي أخاف عليكم عذاب يوم أليم"، وهي جملة تعليليَّة، وتقدير الكلام فيها، "نهيتكم عن عبادة غير الله لأنِّي أخاف عليكم من عذابه الأليم"، ووصفه بالأليم من باب الاسناد المجازي مبالغةً وفيها تحقيق لمعنى الإنذار»[1].

وفي قوله "فقال الملأ...بل نظنُّكم كاذبين"، تتضمَّن هذه الآية شبهات في إنكار نبوَّة نوح –عليه السَّلام– وهي قولهم: "مانراك إلاَّ بشرًا مثلنا"، فذكر أنَّ المساواة في البشريَّة لاتمنع من حصول المفارقة في صفة النُّبوَّة والرِّسالة، ثمَّ ذكر الطَّريق الدَّال على إمكانه، على جهة التَّعليق والإمكان، وهو متيقِّن أنَّه على بيِّنة من معرفة الله وتوحيده، ولكنَّه أبرزه على سبيل العرض لهم والاستدراج للإقرار بالحقِّ وقيام الحجَّة على الخصم، وهنا البيِّنة البرهان، والشَّاهد على صحَّة دعواه، أو هي المعجزة ويجوز أن تكون رحمة وإنَّ هذا الشَّبه لا يحق أن يكون على الرَّسول –صلى الله عليه وسلم– فهو جهل لأنَّ من حقِّ الرَّسول – صلى الله عليه وسلم – أن يباشر الأمَّة بالدَّليل والبرهان والتثبتِ، والحجَّة لابالصُّورة والخلقة»[2].

ثمَّ حكى الشُّبهة **الثَّانية** في قوله: "وما نراك إلاَّ بشرًا....بادي الرَّأي"، فالرِّفعةُ في الدِّين لا تكون بالحسب والمال، والمناصب العالية، بل الفقر أهون على الدِّين من الغنى، فكيف نجعل المال في الدُّنيا طعنا في النُّبوة والرِّسالة، أمَّا الشبُّهة **الثَّالثة** وهي قوله: "وما نرى لكم علينا من فضل"، وأيضًا جهلوا بما أنعم الله عليهم من فضله العظيم، وهذه الفضائل ليست معتبرة إلَّا بالعلم والعمل الصَّالح، وضمير الجمع المخاطب في هذه الآية تضمَّنَ خطابًا شاملًا لنوح –عليه السَّلام– ومن تبعه»[3].

هنا ألبسوا شُبَهَهُم لباس الحجج القويَّة، وهذه عقيدتهم أنَّ من يكون سيِّدًا أو حاكمًا، أوذا مكانة... ينبغي أن يكون ذا مال وجاه، ورفاهية...، فأتوا بحجج من واقعهم الَّذي يعيشونه، كرعاية المصالح العاجلة وقوَّة جدلهم –تَصَنُّعِهِم للكذب والافتراءات– وسلطتهم...، وهذا اعتراض الكافرين على نوح –عليه السَّلام– وأتباعه، وذلك دليل على جهلهم وقلَّة علمهم وعقلهم، فإنَّه ليس بعارٍ على الحقِّ رذالة من اِتَّبعه بل الحقّ الَّذي لاشكَّ فيه، أنَّ أتباع الحق هم الأشراف، ولو كانوا فقراء ضعفاء، والَّذين يَفِرُّون منه هم السُّفهاء ولو كانوا أغنياء، وفي الواقع غالبا أنَّ من يتبع الحق والطَّريق الصَّواب هم ضعفاء النَّاس، والعكس بالنِّسبة للأشراف وسادة القوم مخالفته، فهم لايعلمون إلَّا ظاهرًا من الحياة الدُّنيا ولم يعلموا أنَّ الشَّرف

[1] – ينظر: فتح القدير، الشَّوكاني اليمني، ج2، ص559.

[2] –ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج5، ص216.

[3] – ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج17، ص337.

بالكمال لابالمال، ثمَّ قالوا بعد ذكر هذه الشُّبهات لنوح –عليه السَّلام– "ومن اِتَّبعكَ...بل نَظنُّكم كاذبين" وفيها وجهان، **الأول**: أن يكون هذا خطابًا مع نوح –عليه السَّلام– ومع قومه والمراد منه تكذيب وإيهام نوح –عليه السَّلام– في دعوى الرِّسالة، **والثَّاني**: أن يكون هذا خطابًا مع الأراذل(*) أي؛ أنت في دعوى النُّبوَّة وهم في دعوى العلم بصدقك، فغلَّب المخاطب على الغائب لأنَّ الأولويَّة للحاضر على الغائب»[1].

فإرادة نوح –عليه السَّلام– ومقصده من هذا أنَّه أراد منهم تزكية أنفسهم وتركهم إنكارهم، حتَّى يظهر عليهم أثر نور الإرادة وتقبُّل ذلك، فهو يثني بما هو خير وأبقى، وأنَّه لا مطمع له في شيء من أموالهم التَّي اعتقدوا وظنُّوا أنَّ الشَّرف بها يكتمل، وهنا جاء الإضراب ب "بل" على لسانه، وهذا إضراب إبطالي سُبِقَ بنفي للدَّلالة على تقرير حكم ما قبلها، وإثبات لما بعده، وهو إضراب في الاحتجاج، وفيه أنَّهم لا يرون معه أمرًا يوجب اِتِّباعه، بل هناك أمرٌ يوجب عدم الاتباع وهو"إنَّا نظنُّكم كاذبين"، فقد جاء الرَّابط "بل" للجمع بين حجَّتين اِثنين، وباعتماده (نوح –عليه السَّلام–) على هذا الرَّابط، تدرَّجَ في عرض حججه وانتقاله من خطاب إلى خطاب آخر، فالحجَّة **الأولى**: تمثلت في إحداث شبهات النَّبي–عليه السَّلام– ومقابلته مع بني البشر، أمَّا **الثَّانية**: فقد أبطلت ماقبلها، لما أتى ببرهان من ربِّه وبيِّنة والَّتي عميت عليهم (عدم فهمهم للرِّسالة).

وفي قوله: "ياقوم أرأيتم...وأنتم لها كارهون "أي؛ برهان من ربِّي وشاهد منه يشهد بصحَّة دعواي فأتاني رحمة من عنده "فعميت عليكم"، لا حتجابكم بالظَّاهر عن الباطن، وبالخليقة عن الحقيقة، فالضَّمير فيها عائد على البيِّنة، وبذلك يحصل الذَّم لهم من أنَّه أتى بالمعجزة الجليَّة الواضحة، إلَّا أنَّها خُفِيَتْ عليهم وأُبْهِمَتْ فصمَّموا على الإعراض عنها فخلَّاهم الله وتصميمهم، فجُعلت تلك التَّخليَة تَعْمِية منه، والدَّليل عليه "أنلزمكموها وأنتم لها كارهون" أي؛ أنكرهكم على قبولها ونقْصِرُكُمْ على الاهتداء بها، فلا إكراه في الدِّين، وهي جملة استفهاميَّة وجيء بالضَّميرين متَّصلين لتقدُّم ضمير الخطاب على ضمير الغيبة وكأنَّه – عليه السَّلام– أراد أن لايكون إلزام ذلك على الكراهيَّة، لكن إن شاؤوا ذلك فليتَّعِضُوا»[2].

فقد خاطبهم –عليه السَّلام – بلقب القوم وهو يدعوهم إلى ماهو خير لهم، ويخبرهم مارأيهم وقولهم في حاله معهم إن كان على حجَّة ظاهرة من ربِّه، وأنَّ ماجاء به هو تبيين وحق من عند الله لا من عنده،

---

* – أكابر مجرميها أي؛ السُّفهاء، تفسير الماتريدي، أبو منصور الماتريدي، ج6، ص121.

[1] – ينظر: مفاتيح الغيب، الرَّازي، ج17، ص337.

[2] – ينظر: الكشَّاف، الزَّمخشري، ج2، ص390.

وأنَّه لم يأت ليلزمهم أو يجبرهم، أو يكرههم على ماهم رافضون له إنكارا وجحودًا، واستكبارًا، والإسلام لا يصح إلَّا بإيمان الإذعان، وما على الرَّسول إلَّا البلاغ المبين، وهو أوَّل نص في دين الله يدل على أنَّه ماكان ولا يصح، ولايلزم بالاكراه، وقد استعمل النِّداء للفت انتباه القوم لما جاء به من خبر وبيِّنة وهداية، ورحمة لما في قوله: "ياقوم أرأيتم إن كنت على ببيِّنة..."، وهذا ما أبرز آلية الخطاب.

وجا في قوله أيضًا: "ياقوم لاأسئلكم...أراكم قومًا تجهلون" بمعنى؛ الدُّعاء إلى الله والإيمان، والثَّواب في تبليغ الرِّسالة، فأجابهم"وما أنا بطارد الَّذين آمنوا إنَّهم ملاقوا ربِّهم"، فيحتمل أن يكون قد قال ذلك على وجه الإعضام بلقاء الله –عزَّ وجلَّ– والآخر على وجه الاختصام، وأنَّهم أهل الزلفى عنده تعالى، وهم حمائم أبراج الملكوت، وبزاة معالم الجبروت، وقوله: "ولكنِّي أراكم قومًا تجهلون" أي؛ استرذالكم وسؤالكم طَرَدَهُمْ وأخبر بتذلُّلِه وتواضعه لله –عزَّ وجلَّ– وأنَّه لا يدَّعي ماليس له من خزائن الله وهي إنعامه على من يشاء من عباده

وأنَّه لا يعلم الغيب، ولا يقول بأنَّ منزلته عند النَّاس منزلة الملائكة، فهو لا يقول للَّذين تستثقل وتحتقر أعينهم تبْطُلُ أجورهم أو ينقص ثوابهم، وأنَّ الله وحده كفيل بهم فيجازيهم بما في أنفسهم ويؤاخذهم»[1].

"ولكن" في النَّصين "قال يقوم أرأيتم ...وأنتم لها كارهون"، وياقوم لاأسئلكم عليه ...ولكنِّي أراكم قومًا تجهلون"، الحجَّة الَّتي وقعت بعدها أقوى من الحجَّة الَّتي قبلها، لأنَّ الرَّابط "لكن" فيه طاقة حجاجيَّة جعلت من حجَّة نوح –عليه السَّلام– قويَّة وموجَّهة، **فالحجَّة الأولى:** تمثلت في الهداية والبيِّنة الَّتي ألهمها الله لنبيِّه نوح –عليه السَّلام– حتَّى يرشد قومه بها دون إكراه منهم، **أمَّا الثَّانية:** تواضعه لهم وأنَّه عبد مثلهم وأكَّد لهم بأنَّه لا سلطة له ولا يعلم الغيب، ولا يملك خزائن الله، لأنَّ كل هذا الملك للواحد القهار، الَّذي بيده ملكوت السَّموات والأرض .

وتظهر قوَّة حجَّته من طريقة ونسج وتركيب، ونظم عبارته حيث حصَر وقصَر توجيهاته ونصحه وإرشاده لقومه دون مقابل منهم، وإنَّما أجره على المولى –عزَّ وجلَّ– أي المستحق بالعبادة ، فهو الَّذي يجازيه، لقوله: "لا أسئلكم عيله مالًا إنْ أجري إلَّا على الله".

ولكن الاستدراكيَّة تكون جملتها تفيد معنى يُغاير الجملة الواقعة قبلها لا تدل عليه الجملة السَّابقة، وهذا هو حقيقة الاستدراك الموضوعة له (لكن)، وأكثر وقوعها بعد جملة منفيَّة لأنَّ النَّفي معنى أوضح، فيكثر أن يحتاج المتكلِّم بعده إلى زيادة وبيان، فيأتي بالاستدراك.

[1] – ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج9، ص27، 26.

وقوله" وياقوم من ينصرني...أفلا تذكَّرون" استخدم النِّداء من أجل جلب الانتباه، ونسبهم (القوم) إلى نفسه وهذا له أثر بالغ أثناء الحجاج، وبعد النِّداء طلب منهم طلبًا لايقدرون عليه، وهي من أقوى الحجج في قوله: "من ينصري"، وضُمِّنَ معنى الإنجاء فعدي ب"مَنْ" أي؛ من يخلِّصني ويُنْجيني من الله أي؛ من عقابه، لأنَّ طردهم إهانة تؤذيهم بلا موجب معتبر عند الله، والله لا يحب إهانة أوليائه، وهنا ينكر على قومه إهمالهم التذكر، أي التَّأمل والتَّدبر في مخلوقات الله وفي دلائل الله ومدلولاتها، وقوله: "أفلا تذكَّرون" فالهمزة هنا استفهام إنكاري أي؛ استنكار نوح –عليه السَّلام– من قومه الَّذين تعجَّبوا من مجيء الذِّكر والموعظة من ربِّهم على رجل منهم، فالاستفهام هنا عُدَّ لَبِنَةً أساسيَّة قام عليها الحجاج، فلا نرصد محاجَّة خلت منه وما ميَّزه في القصص القرآني، أنَّه يخرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي كالإنكار والتَّقرير»[1].

وقوله أيضًا: "ولا أقول لكم عندي...إنِّي إذًا لمن الظَّالمين"، وهذا تفصيل لما ردَّ به مقالة قومه إجمالًا فهم استدلوا على نفي بنبوَّته بأنَّهم لم يرو له فضلًا عليهم، فجاء هو في جوابهم بالقول الموجب، أنَّه لم يدع فضلا غير الوحي إليه، فهو بهذا (الخليل –عليه السَّلام–) ينفي تمامًا علم الغيب، وملك الله ، "ولا أقول لكم عندي خزائن الله "، وينفي كذلك صفة الملائكة عن نفسه بقوله: "ولا أقول إنِّي ملك ..."، واستعمل في نفيه لهذه الأمور الإلهيَّة تكرار صيغة المضارع، للدَّلالة على أنَّه منتفٍ عنه ذلك في الحال، "والخزائن" استعارة مكنيَّة، حيث شُبِّهت النِّعم والأشياء النَّافعة، بالأموال النَّفسيَّة الَّتي تُدَّخرُ في الخزائن، ورمز إلى ذكر ماهو من روادف المشبه به وهو "الخزائن"، وإضافة خزائن إلى الله فقصر وخصَّص ذلك كله لله الواحد الأحد الصَّمد ففي قوله: "لا أقول إنِّي ملك "، جاءت كنفي لشبهة قولهم: "مانراك إلَّا بشرًا مثلنا"، ولذلك أعاد معه فعل القول، لأنَّه إبطال دعوى أخرى ألصقوها به ثمَّ أكَّد "بأنَّ"، لأنَّه قول لا يقوله قائله إلَّا مؤكِّدًا لشدَّة إنكاره لو ادَّعاه مدَّعٍ، وقوله: "الإزدراء"، وهو الاحتقار وإلصاق العيب، فأسند إلى العين باعتباره من أفعال النَّفس فهو مجاز عقلي لأنَّ الأعين سبب الإزدراء غالبًا»[2]، ونظيره قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾[3].

[1] – ينظر: التَّحرير والتَّنوير، الطَّاهر بن عاشور، ج12، ص56.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ج12، ص 58، 57.

[3] – سورة الأعراف،الآية : 116.

وجيء في النَّفي بحرف "لن"، الدَّالَّة على تأكيد نفي الفعل في المستقل تعريضًا بقومه لأنَّهم جعلوا ضعف أتباعه نوح (-عليه السَّلام-)، وفقرهم دليلًاعلى انتفاء الخير عنهم فلسان حالهم بقوله" لن ينالو خيرًا "، فكان رده عليهم بأنَّه لايقول: "لن يؤتيهم الله خيرًا"، وجملة (الله أعلم)، تعليل لنفي أن يقول: "لن يؤتيهُمُ الله خيرًا، وجملة: "إنِّي إذًا لمن الظَّالمين"، تعليل ثان لنفي أن يقول: "لن يؤتيهم الله خيرًا"، وقوله: "إنِّي إذًا لمن الظَّالمين"، وهنا تأكيد بثلاث مؤكِّدات (إنَّ، ولام الابتداء، وحرف الجزاء إذًا)، تحقيقًا لظلم الَّذين رموا المؤمنين بالرَّذالة»[1].

ويوضِّح "ابن كثير" في قوله تعالى: "قالوا يانوحُ قد جادلتنَا...وإليه ترجعونَ"، معنى الآية أنَّ الله تعالى مخبرًا عن استعجال قوم نوح –عليه السَّلام- نقمة الله وعذابه وسخطه فقالوا: "حاججتنَا فأكثرت من ذلك" ونحن لا نتبعك، فادعو علينا بما شئت فليأتنا ما تدعو به، فقال لهم: إنَّما الَّذي يعاقبكم ويعجلها لكم الله الَّذي لا يعجزه شيء، فأيُّ شيء يجدي عليكم إبلاغي لكم وإنذاري إيَّاكم نصحي إنْ كان الله يريد إغواءكم، فهو مالك أزِمَّة الأمور له الخلق وله الأمر مالك الدُّنيا والآخرة الكبير المتعالي»[2].

وما نلاحظه من هذه الآية الكريمة أنَّها اشتملت على الجدل في قوله: "قالوا يانوحُ قد جادلتنَا" والحوار تمثَّل في مراجعة الكلام بين النَّبي نوح -عليه السَّلام- وقومه وهو يدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، بدأ حديثه معهم بإخبارهم أنَّه نذير= من أنذر: أي حذَّر ونبَّه، ومبين= ظاهر واضح غير مخفي وبارز، وهذا ليهيِّأهم إلى الاستماع إليه وقبول ماسيعرضه عليهم وبدأ بأكبر قضيَّة بُعث من أجلها الأنبياء المرسلون وهي توحيد الله وعدم الإشراك به، وتظهر قوَّة حجَّته في طريقة تركيب ونظم عبارته حيث حصَر وقصَر العبادة للمستحق لها وهو الله –سبحانه وتعالى- "ألَّا تعبدُوا إلَّا الله".

بالإضافة إلى عناصر الاتِّساق والانسجام، والَّتي من خلالها لم يدع النَّبي نوح -عليه السَّلام- لهم حجَّة إلاَّ ودحضها، باعتبار تركيبه اللُّغوي في هذا السِّياق"كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضًا" من خلال براعة نظمه، مما أكسب صاحب الحجَّة، القدرة على التَّبليغ وتحقيق الإقناع والاقتناع وسد منافذ السَّفسطة فدفعهم بهذا إلى الملل والسأم ولم يبق لهم المفر، فهذا دليل على حججه العقليَّة المنطقيَّة الَّتي لم يجدوا لها خلاصًا، ولا ردًا، وقد تعدَّدت (العوامل الحجاجيَّة) أغراضها الإنجازيَّة حسب المقام وقصد المتكلِّم وحقَّقت الإذعان والاقتناع.

[1] – ينظر: التَّحرير والتَّنوير، الطَّاهر بن عاشور، ج12، ص58، 59.

[2]– ينظر: تفسير القرآن العظيم، الدَّمشقي، ج4، ص318.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

والمعنى: أنَّ الَّذي أنزل القرآن على (موسى-عليه السَّلام-) هو الله الَّذي لا إله إلَّا هو ذو الأسماء الحسنى والصِّفات العلى، فقال تعالى: "وهل أتاكَ حديثُ موسَى" وهنا شَرَعَ تبارك وتعالى، في ذكر قصَّة موسى-عليه السَّلام- وكيف كان ابتداء الوحي إليه وتكليمه إيَّاه، فبداية قصَّته جاءت على صيغة الاستفهام التَّقريري للحث على الإصغاء لما يُلقَى إليه، فكان في ليلة مظلمة يسير مع زوجته الحامل، وفي الطريق وُلِدَ ابنُه، ولما صَلَدَ زنده "رأى نارًا "، فأمرهم بالوقوف والمكوث في أمكنتهم، والخطاب موجَّه إلى أهله والخادم، بأنَّه أَحَسَّ بالنَّار على بعد لا تحس إلَّا بالبصر، فقد رآها موسى-عليه السَّلام- وخُيِّلت له بأنَّها نار لكن في الحقيقة هي نور من عند الله —سبحانه وتعالى-»[2].

"فلمَّا أتاهَا" أي؛ أتى النَّار وجد نارًا تتَّقد في شجرة خضراء، فخلع نعليه، من باب التَّواضع والأدب لهذا المكان المقدَّس والمطهَّر، وهو تعليل للأمر "فاخلع" باحترام البقعة، وأنَّ الله اصطفاه للنُّبوَّة من بين قومه لما يوحى إليه منه (الله)، ثمَّ أكَّد على تقرير التَّوحيد "إنَّني أنا الله "، والأمر بالعبادة وتشغيل القلب واللِّسان بذكر الله -عزَّ وجلَّ- وتجلى الحوار والخطاب في تكليم الله لنبيِّه موسى-عليه السَّلام- وقد بدأ الله- سبحانه وتعالى-كلامه مع نبيِّه باستفهام ليثبت الخبر ويقرِّره في نفس المخاطب، وهو أسلوب مؤثِّر في إلقاء الكلام»[3].

---

[1]-سورة طه، الآيات : 8-23.

[2] -ينظر: البحر الميحيط، أبو حيان الأندلسي، ج6، ص 215، 216.

[3]-ينظر: المنير، مصطفى الزُّحيلي، ج16، ص187.

والملاحظ من هذه الآيات أنَّ الله –سبحانه وتعالى– ألقى على سيِّدنا موسى –عليه السَّلام– في هذا المقام جملة من الأوامر وهي كما يلي:

1– ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾[1].

2–﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾[2].

فقد جاءت كلها مسبوقة بصيغ في منتهى الرِّفق والرَّحمة بسيِّدنا موسى–عليه السلام– فقبل أن يأمر الحق عبده ورسوله الكريم، موسى–عليه السَّلام– بخلع نعليه، أخبره بأنَّه الله الَّذي لا إله إلَّا هو الواحد الأحد المستحق للعبادة، ثمَّ سبق الأمر بالاستماع في قوله: "فاستمع لما يوحى"، الَّذي يفيد قمَّة الهيبة بقوله: "وأنا اخترتُكَ "، والله –سبحانه وتعالى– اختار سيِّدنا موسى–عليه السَّلام– بتكليمه عن باقي الأنبياء والمرسلين، وأمره بتبليغ رسالته، وهذا الكلام يفيد قمَّة اللُّطف والرَّحمة والتَّشريف، وهو خطاب إلهي موجَّه من الأعلى إلى الأسفل بصيغة الأمر، فجاء هذا التَّركيب اللُّغوي محبوكًا بعوامل حجاجيَّة، نحو "إنَّ" الَّتي أسهمت في تأكيد وتأثير هذا الخطاب في نفس موسى –عليه السَّلام– وجعلته يستجيب لأوامر ربه فكل زيادة في التَّركيب زيادة وتقوية في المعنى »[3].

وقوله: "فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاة لذِكرِي" أي؛ معناه اخلص لوجهي واعلم أنَّ السَّاعة آتية لا محال ولا شكَّ فيها، فَقَارَبْتُ أن أخفيها ولكنَّني لم أفعل، فهي ستأتي في وقت يعلمه الله، وقد أخفاها على عباده حتَّى يعملوا بجدٍّ ولايُؤخِّروا التَّوبة لحظة قبل أن تنشب المنيَّة أظفارها، وتلغي كل تميمة لا تنفع لأنَّه إذا عرف الإنسان السَّاعة لوقفت الحياة وما عُمِّرت الدُّنيا، وما ناسب هذا الخطاب وزاد في قوَّته، صيغة الأمر على إقامة الصَّلاة، وكثرة الذِّكر والاستغفار للمولى –عزَّ وجلَّ– قبل فوات الأوان وقوله: "إنَّني أنا الله فَاعبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاة لذكرِي"، فقد جاءت هذه الصِّغة (الأمر) لتهدئة وتسكين روعة نفسه (موسى–عليه السَّلام–) من خطاب لا يرى مخاطبه؛ لأنَّ المخاطب (الله –سبحانه وتعالى–) لم يكن حاضرًا أمام سيِّدنا موسى– عليه السَّلام– وقت تحضير وإنتاج هذا الخطاب، فلم يسبق لسيِّدنا موسى –عليه السَّلام– عهد بلقائه، وتوسط الضَّمير "أنَا" في عبارة"إنَّنِي أنَا الله"، لزيادة وتقوية الخبر، لأنَّ المتكلم هو الله –سبحانه وتعالى–

[1]– سورة طه، الآية : 12.

[2]–سورة طه، الآية : 13.

[3] –ينظر: التَّحرير والتَّنوير، الطَّاهر بن عاشور، ج16، ص196.

واستعمال الأفعال الكلاميَّة الدَّالَّة على الطَّلب بغض النَّظر عن صيغتها، يتمثل غرضها الإنجازي في التَّأثير في المتكلم ليفعل شيئا ويخبر عن شيء»[1].

وقوله "فلا يَصُدَّنَّكَ عنها...فترْدَى" أي؛ لا يصرفنَّك عن الإيمان بها وعن العمل الصَّالح الَّذي لا ينفعك عند مجيئها من لا يؤمن بها من الكافرين والفاسقين، واتَّبع هواه في إنكارها، والظَّاهر أنَّ هذا خطاب لموسى –عليه السَّلام– ولا يلزم من النَّهي عن الشَّيء إمكان وقوعه ممَّن سبقت له العصمة، وهنا تحذير شديد من أتباع المنكرين لقيام السَّاعة، والمعرضين عن الاستعداد لها»[2].

لقد جاء خطاب الله تعالى لموسى–عليه السَّلام– بطريقة الاستدلال على كل حكم وأمر، أونهي والمتمثل في قوله: "فَلَا يَصُدَّنَّكَ عنهَا مَنْ لا يُؤمنُ بهَا "، فابتدأ بالإعلام بأنَّ الَّذي يكلِّمه هو الله، وأنَّه لا إله إلَّا هو، ثمَّ فرَّع عليه "الأمر" في قوله: "فَاعبُدنِي وَأَقِمِ الصَّلاة لِذكرِي"، ثم عقَّب باثبات السَّاعة وعلَّل بأنَّها "لِتجزَى كُلُّ نَفْس بمَا تَسْعَى"، ثم فرَّع عليه "النَّهي" عن أن يصده عنها من لا يؤمن بها، ثم فرَّع على النَّهي أنَّه إنْ ارتكب مانهي عنه هلك وخسر، وهذا في سياق المحاورة بين الله– سبحانه وتعالى– ونبيه موسى –عليه السَّلام–.

وقوله: "ومَا تِلكَ بِيمِينكَ يَا موسىَ...ولي فيها مئاربُ أخرَى"، فبعد مناجاة الله –سبحانه وتعالى– لموسى–عليه السَّلام– بدأ تعالى بذكر البراهين لتصديق رسالته، أولها انقلاب العصا حيَّة، وهذه معجزة قاهرة أحدثها الله لأجله فكلمة "ماتلك" استفهام تضمَّن تنبيه لما يريد إظهاره من العجائب، وهذا لزيادة التَّنبيه، "وأتوكَّؤ" أعتمد عليها في المشي إذا عييت، وأخبط بها ورق الشَّجر ليسقط فتأكل، منافع وحاجات أخرى (الزَّاد والسَّقاء وطرد الهوام)، فمعجزة العصا لموسى–عليه السَّلام–هي البرهان الأول الخارق للعادة الدَّال على أنَّه لا يقدر على مثل هذا إلَّا الله –عزَّ وجلَّ– والسُّؤال عن العصا سؤال تقريري للتَّنبيه على كمال قدرة الله، فموسى –عليه السَّلام– في حواره مع ربه كان يستمتع ويتلذَّذ بخطابه –سبحانه وتعالى– فلذلك أجاب" عصاي أتوكَّؤ..."، وهو سأله عمَّا بيمينه ولم يسأله ماذا يفعل بها، وهنا اختلف القصد من الكلام فالله –سبحانه وتعالى– في سؤاله عن ما بيمينه أراد بها المعجزات (العصا) أي؛ أنَّ تلك العصا الَّتي

[1]– ينظر: تفسير الواضح، الحجازي محمد محمود، دار الجيل، بيروت، ط1، 1413هـ، ج2، ص482.

[2] – ينظر: الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهظة مصر، القاهرة، ط1، 1998، ج9، ص94.

بيمينك تصنع لك المعجزات وتفتح لك آفاق البيان والبرهان فتسكت بها أعداء الله، أمَّا موسى –عليه السَّلام–راح يعلِّل عن عمل تلك العصا وفائدتها بالنِّسبة له»[1].

لقد احتوت الآية الكريمة، على أسلوب النِّداء لما فيه من تنويه وتأكيد على منزلته المخصوصة عند ربه من خلال مافيه من إيماءات ولفت، الانتباه إلى معجزة العصا واختيار ما يدلُّ على البعد في اسم الإشارة "بتلك" للتَّعظيم، فتكرار النِّداء (ياموسى) هنا كان إلحاحًا ورغبة في المتكلِّم في إقناع المخاطب بما سَيعلمُه من الكلام، فنداؤه –سبحانه وتعالى– لسيِّدنا موسى –عليه السَّلام– في هذه الآيات فيه زيادة توكيد، ومن ثمَّ الإقناع بما كان يوحى إليه لأنَّ سيِّدنا موسى–عليه السَّلام– كان يعلم أنَّه هو وحده المنادى ثم إنَّ الموقف موقف إيناس من الله –سبحانه وتعالى– لأنَّ المقام مقام خوف ورهبة .

وقوله: "أَلْقِهَا يَا موسى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هي حيَّةٌ تَسْعَى"، فإذا بها تنقلب ثعبانًا عظيما، فولَّى موسى هاربًا خائفًا، فقال –سبحانه وتعالى – "خُذْهَا وَلَا تَخَفْ" أي؛ ليس عليك منها بأس، "سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى" بمعنى؛ هيأتها وصفتها الَّتي كانت عليها، فأخذها فعادت مثلما أَلِفَهَا، وهي حُجَّة عقليَّة أولى دليل على قدرة الله وعظمته لبهتان وخرس كبار السَّحرة، "واضمم يدك ...من آياتنا الكبرى" بمعنى؛ أدخل يدك في جيبك واضمم عليها عضدك فتخرج بيضاء مشعَّة وناصعة، من غير مرض البرص أو غيره، وهذه آية كبرى دالَّة على صحَّة رسالتك وحقيقة ماجئت به ليزداد علمك، ويطمئن قلبك فتكون معجزتك حُجَّة وبرهانًا لمن أرسلت إليهم»[2].

فقد تمثَّلت الحُجَّة الثَّانية: في خروج يد موسى بيضاء ناصعة من دون شوائب وهي دليل يدعم، ويؤكِّد ويقوي المعجزة الأولى، باعتبارها دليلًا عقليًا قاطعًا مقنعًا، مدحضا للحجج المغالظة والكاذبة من قبل كبار سحرة مصر، ومازاد في بلوغ هذا المرمى وحسن سبكه وحبكه لهذه الأدلَّة استعماله تقنيات بارعة ومبهرة في خطابه وحواره، "كالأمر" الَّذي أفاد الطَّلب في تنفيذ ما أمر الله به، وأسلوب النِّداء للتَّنبيه، ومن آليات الحجاج كذلك الحوار الَّذي نجده يتجسَّد في قوله تعالى:﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ

[1]– ينظر: تفسير المنير، مصطفى الزُّحيلي، ج16، ص197، 196.

[2] – ينظر: تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعدي(ت1376هـ)، تح، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ– 2000م، ج1 ص503.

رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾[1].

ومعنى "أَوَى الفِتْيَةُ ..أَمَدًا "صارو إليه وجعلوه مأواهم ، ثمَّ دعو الله الهداية بالمعرفة والصَّبر، والرِّزق والأمن من الأعداء، فضرب الله –سبحانه وتعالى- على أذانهم حجابًا يمنع وصول الأصوات إليهم بعد سباتهم ونومهم الَّذي دامَ سنينَ عددًا، ثمَّ أفاقهم (الله) ليحصل له هذا العلم وعند هذا يرجع إلى أنَّه تعالى هل يعلم الحوادث قبل وقوعها أم لا، واللَّام في جملة "لِنَعْلَمَ أيُّ الحِزْبَيْنِ" لام الغرض تدلُّ على أنَّ أفعال الله معلَّلة، "وأيُّ" تتضمَّن معنى الاستفهام على الحزبين المختلفين»[2].

ويظهر الحوار في هذه الآيات بوصف الله مصدر الإفضاء السردي، والنَّبي بوصفه المتلقي الأوَّل للخطاب والوسيط لتبليغه إلى كافة النَّاس، فهذا المطلع الحواري إفحامي ذو غاية اِستدلاليَّة على عظمة القدرة الإلهيَّة بعد دعاء الفتية ربهم، بعد أن اِستقرَّ بهم المقام في الكهف "فربَّنا" مقام دعاء من الأسفل إلى الأعلى، وما فعَّل هذا الحوار توظيف العوامل الحجاجيَّة المتمثِّلة في الدُّعاء في قوله: "ربَّنَا آتنَا مِن لَّدُنكَ رحمةً" لطلب الاستغاثة والاستجابة، وصيغة التَّخيير في قوله: "أيُّ الحِزْبَيْنِ"، وبعد انقضاء المدَّة المعلومة لسباتهم هاهي الحياة تدبُّ فيهم من جديد فيستيقضون وعيهم تدريجيًا ويتكشَّف السِّياق أوَّل مايتكشَّف عن هذا الموقف الحواري .

فجاء قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۗ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾[3].

[1]–سورة الكهف، الآيات : 10-12.

[2] –ينظر: مفاتيح الغيب، الرَّازي، ج1، ص429.

[3]– سورة الكهف، الآيات : 19-21.

يقول تعالى: وكما أرقدناهم بعثناهم صَحِيحَةً أبدانُهم وأشعارهُم وأبشارهُم لم يفقدوا من أحوالهم شيئا وذلك بعد ثلاثمائة سنةٍ وتسعٍ سنينَ، ولهذا تساءلوا وتحاوروا بينهم على مدَّة مكوثهم في الكهف فكان دخولهم إلى الكهف في أوَّل نهارٍ واستيقاظهم في آخر نهارٍ، ولهذا استدركوا فقالوا "أو بَعْضَ يَومٍ قالوا ربُّكم أعلمُ بما لبثتُم " أي؛ الله أعلم بأمركم، وكأنهم حصل لهم نوع من الشَّك/الظَّن في كثرة نومهم ثم احتاجوا إلى طعام وشراب، فقالوا: "فابعثُوا أحَدكُم بورِقِكم هذه إلى المدينةِ ...أحدًا" أي؛ أرسلوا أحد الفتية ليأتيهم بحاجاتهم، وطلبوا منه الخفية عن أنظار الملك الظَّالم، لأنَّهم إذا اِطَّلع هذا الملك على مكانهم يرجمهم ويعذبهم حتَّى الموت»[1].

فالحوار كان منهم وإليهم في نفس الوقت وبصوت واحد يتعذَّر فيه التَّمييز، إنَّها الذَّوات المتوحِّدة والمنصهرة في ذات شموليَّة كليَّة، تتفاعل مع المعطى الواقعي لموقف واحد، فالحوار نسب إلى الفتية كلهم لأنَّه وإن كان صادرًا عن شخص واحد في مستوى المباشرة الإفضائيَّة القوليَّة، فإنَّه من دون شك كان قائمًا في خاطر كل واحد منهم أيضًا، مما جعل الحوار جماعيًا أكَّد على قيَّم إيمانيَّة وخلقيَّة تحلَّى بها الفتية "كحفظ النَّفس والحرص على سلامتها من الأذى".

"وكذلك أعثرنَا عليهم ....مسجدًا" أي؛ أنَّ الله أعلم النَّاس بأنَّ وعده بالبحث حق، وأنَّ السَّاعة آتية لا محال إذ يتنازع المطَّلعون على أصحاب الكهف في أمر القيامة؛ فمن مثبت لها ومن منكرٍ، فجعل الله إطِّلاعهِم على أصحاب الكهف حُجَّة للمؤمنين على الكافرين، وبعد أن انكشف أمرهم وماتوا قال فريق من المطَّلعين عليهم: أُبنوا على باب الكهف بناءً يحجبهم،واتركوهم وشأنهم ربَّهم أعلم بحالهم، وقال أصحاب الكلمة والنُّفوذ فيهم :"لنتَّخذنَّ على مكانهم مسجدًا للعبادة "»[2].

فالموقف الحواري هنا طرفاه فئتين لم تتحدَّد هويَّة الأولى تحدُّدًا واضحًا، بينما عرفنَا من أمر الثَّانية أنَّها الغالبة على الأمر جاء، ليفضي بالخلاف الَّذي جرى بين النَّاس، من بعد وفاة الفتية، والسِّياق يقف من خلال هذه المحاورة المقتضية عند الرَّأيين الأكثر شيوعًا بين اليهود السَّائلين عن هؤلاء الفتية، دون الالتفات إلى التَّفصيلات الأخرى الَّتي لا تنطوي على فائدة معيَّنة، وهذا لتمسُّك النُّبوَّة بالوحي ودحضًا لأيِّ شبهة

[1] -ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدَّمشقي، ج5، ص145.

[2] – ينظر: تفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك، فهد للطباعة المصحف الشريف، السعودية، ط2، 1430هـ- 2009م، ج1، ص296.

يرمون بها الدَّعوة، ويظهر الجدال ها هنا في الفعل المضارع "يتنازعون "أي؛ "أهل المدينة بينهم شأن أهل الكهف"، وأنَّ المضارع أفاد استحضار حالة التَّنازع .

فبعد موت الفتية احتدم بين القوم الَّذين بعثوا على عهدهم تنازع حول أمر البناء عليهم، فينهض لتصوير ذلك الموقف هذا المقطع الحواري، لقوله تعالى: "ابنُوا عليهم بنياناً ربُّهم أعلمُ بهم قال الَّذين غلبُوا على أمرهم لنتَّخذنَّ عليهم مسجدًا "، فالقرآن هنا اكتفى بما يؤدي الغاية الإعجازيَّة في إطار الغرض الدِّيني لهذا كان الموقف الحواري في غاية الدِّقة والتَّركيز إذ لم يسترسل في بيان جوانب تفصيليَّة أخرى لا تتَّصل اتصالًا وثيقًا بهذين الافتراضين، فكانت الغلبة فيهما –كما نستشفُّه ضمنيًا – للثَّاني لعدة اعتبارات منها:

* ورد الفعل "لنتَّخذنَّ" مؤكِّدًا باللَّام ونون التَّوكيد الثَّقيلة.

* أصحاب هذا الكهف هم أصحاب الغلبة على أمر الفتية أي؛ أنَّهم إذا أرادوا أمرًا لم يتعسَّر عليهم ولم يأتِ بَيْنَهُ وبينهم أحدٌ[1].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾[2].

لما نبَّه تعالى على منتهى الخلق وهو بعثُهم يوم القيامة إلى مايستقرون فيه، نبَّههم على مبدأ أصلهم آدم –عليه السَّلام– وما جرى لعدوِّه إبليس من المحاورة مع الله تعالى–سبحانه وتعالى– ففي قوله تعالى: "ولقد خلقنَا ...من نار السُّموم"، «أنَّ أصل الإنسان كان ترابًا، فعجن بالماء، فصار طينًا فمكث مدَّة من الزَّمن فصار حمأ (طين تغيَّر واسود بطول مجاورة الماء)، فخلص فصار سلالة، فصُوِّرَ فصار مسنونًا ويبس

[1] – ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت127هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، ج12، ص235.

[2] – سورة الحجر، الآيات : 26– 44.

فصار صلصالًا ثمَّ نفخ فيه الرُّوح، فكان بشرًا سويا، فتبارك الله أحسن الخالقين»[1]، ومعنى الآية أنَّ الحمأ والَّذي هو الشَّيء الواحد مصبوب وموضوع بعضه فوق بعض على مثال وصورة.

والجان اسم لجنس الجن (إبليس)، ومعنى "السُّموم" الرِّيح الحارَّة الَّتي تقتل وتهب في النَّهار، وقوله: "وإذ قَالَ ربُّكَ...مسنونٍ"، وفي هذا السِّياق يوجِّه الله-سبحانه وتعالى – خطابًا للملائكة يحمل إخبارًا عن جميع الملائكة، ملائكة السَّماء والأرض ويؤكِّد بأنَّه خلق بشرًا ليكون مفضَّلًا من بين المخلوقات وهو آدم –عليه السَّلام- "فإذَا سوَّيتُه" أي؛ أتقنت خلقه ونفخت فيه الحياة ونفخت فيه من روحي أي؛ إجراء الرِّيح من الفم وغيره، والإضافة تشريف له، "فقعُوا له سَاجدينَ" بمعنى: خرُّوا له ساجدين سجود تحيَّة وتكريم لا سجود عبادة، فهذه التَّحيَّة العظيمة كانت من قبل الملائكة سمعًا وطاعةً، أمَّا عدوَّ الله أبى واستكبر، "إلَّا إبليسَ أبَى"، استثناء منقطع، لأنَّه كان جنيا مغمورًا بألوف من الملائكة امتنع من السُّجود استكبارًا وعصيانًا »[2].

"قال يا إبليسُ...فاخرج منها فإنَّكَ رجيمٌ "، فالله- سبحانه وتعالى- يعاتب إبليس على عدم سجوده رغم منزلته المتدنِّية من بين منزلة الملائكة الرَّفيعة فردَّ عليه إبليس -لعنة الله عليه- على أنَّه أفضل من آدم في الخلق، بقوله: "هو طيني وإبليس ناري، والنَّار تأكل الطِّين "، وهذه حجج مضادَّة كاذبة ومغالطة، حتَّى يكسب مكانة أفضل الخلق من خلال جزمه للسُّجود لآدم –عليه السَّلام- إذ أنَّه ينكر صورة خلقه حينها أصدر الله أمرًا لا رجعة فيه ،فهو ملعون في السَّماء والأرض، فدلالة فعل الأمر (فاخرج) أفادة سخط وغضب الله على إبليس»[3].

وقوله أيضا: "قال ربِّي فانظرِني ...لكلِّ بابٍ منهم جزءٌ مقسوم"، إنَّما سأل الإنظار إلى اليوم الَّذي فيه يبعثون لئلا يموت، لأنَّه لا يموت يوم البعث أحد، وانظر إلى آخر أيَّام التَّكليف بما أغوتني "فالباء" للقسم وما مصدريَّة"، وجواب القسم "لأزيِّنَنَّ "، واستثنى المخلصين لأنَّه علم أنَّ كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه وهو ألَّا يكون لك سلطانًا على عبادي إلَّا من اتَّبعك، فمأواكم جهنَّم»[4].

---

[1] – المقتطف من عيون التفاسير، مصطفى الخيري المنصوري (ت1390هـ)، تح، محمد علي الصابوني، دار القلم، دمشق، الدار الشَّامية، بيروت، ط2، 1418هـ- 1996م، ج3، ص81.

[2] – ينظر : المصدر نفسه، ص82.

[3] –ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن العظيم، البغوي، ج3، ص58.

[4] – ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج2، ص578، 579.

بناء على شرح المفسرين وجدنا هذه الآيات تتضمَّن حوارًا جرى بين الله-سبحانه وتعالى – وإبليس في قضيَّة الأمر بالسُّجود لآدم –عليه السَّلام- فالله –سبحانه وتعالى- رغم أوامره هذه، إلَّا أنَّ إبليس أبى ولم يسجد في قوله: "لم أكن لأسجدَ لبشرٍ خلقتَهُ من صَلصَالٍ من حمإٍ مَّسنونٍ "أي؛ فضَّل نفسه على آدم أنَّه مخلوق من نار والنَّار تأكل الطِّين، لكن الملائكة لم تكن كذلك لأنَّهم سجدوا أجمعين في قوله: "فسجدَ الملائكةُ كلُّهمْ أجمعونَ، إلَّا إبليسَ أبَى أنْ يكونَ مع السَّاجدينَ"، وإبليس بهذه المكابرة والعناد ردَّ على حجج إيهاميَّة، ليس لأيِّ عاقل أن يتقبَّلها، وقد تخلَّل هذا الحوار الجدلي، جملة من الرَّوابط الحجاجيَّة وهو حوار اِستهلَّه الله -سبحانه وتعالى- بالنِّداء وأصحبه بالاستفهام الإنكاري "مَالَكَ"، ليلفت انتباه إبليس فكان سياق هذا التَّركيب اللُّغوي، يحمل غضب الله وسخطه على إبليس في قوله: "فاخرجْ منها فإنَّكَ رجيمٌ وإنَّ عليكَ اللَّعنَةَ إلى يومِ الدِّينِ "، والاستثناء ولام القسم في قوله: "لأزيِّننَّ لهم في الأرضِ ولَأُغوينَّهُم أجمعين إلَّا عبادك منهم المخلِصِينَ "، وقد كانت هذه العوامل الحجاجيَّة مصدر إفضاء في عرض المشهد الحواري الَّذي دار بين صاحب الخطاب ألَا وهو الله -سبحانه وتعالى- (الأساس في إقامة الحوار) وإبليس المعاند واستخباره وتعاليه على عدم قبول الحُجَّة، والبرهان في السُّجود لآدم-عليه السَّلام-.

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [1].

ورد في قوله تعالى: "وجاءَ رجلٌ من أقصَا المدينةِ ...نجى مِن القومِ الظَّالمينَ" أي؛ جاء الرَّجل مسرعًا ويشتدُّ في مشيته وأخبر (موسى-عليه السَّلام-) بأنَّ أشراف مصر يخطِّطون لقتله، وأمره بالمغادرة من هذه

[1] – سورة القصص، الآيات : 20-28.

المدينة فامتثل موسى –عليه السَّلام– ما أمره به ذلك الرَّجل، وعلم صدقه ونصحه، فسلك طريقًا مجهولًا متوكِّلًا على الله داعيًا راغبًا إلى ربِّه في تنجيته من القوم الظَّالمين»[1].

"ولما توجَّه تلقاء مدين...قال ربِّ إنِّي لما أنزلتَ إليَّ من خيرٍ فقيرٌ "، وقد كانت هناك ثلاث طرق فأخذ موسى –عليه السَّلام– أوسطها فبقي في الطَّريق ثماني ليالي وهو حافٍ ولا يطعم إلَّا ورق الشَّجر والظَّاهر قوله: "عسى ربِّي أنْ يهدِنِي سواءَ السَّبيلِ"، لأنَّه كان تائهًا فسأل ربَّه أن يهديه، ويرشده إلى أقصد الطَّريق حتَّى لا يضلَّ "وسواء السَّبيل" هنا وسط الطَّريق، وهي طريق مدين ولما ورد ماء مدين[*]، وجد جماعة من النَّاس يسقون أنعامهم وأغنامهم، ومن بينهم امرأتين تكفَّان غنمهما لكي لا تختلط بغيرها، وهما ابنتا شعيب –عليه السَّلام–[2].

وفيها مسألتان **الأولى**: "مَاخَطبُكُمَا" إنَّما سألهما شفقة منه عليهما ورقَّة، ولم تكن من ذلك الزَّمان أو في ذلك الشَّرع حُجْبَة، أمَّا **الوجه الثَّاني**: قالتا "لا نسقي حتَّى يصدر الرِّعاء وأبونَا شيخٌ كبير"أي؛ لضعفهما لانسقي إلَّا مافضل عن الرِّعاء من الماء في الحوض، وعندها سقى لهما، ثمَّ تولىَّ إلى ظلِّ الشَّجرة فقال: "ربِّ إنِّي لِمَا أنزلتَ إليَّ من الطَّعام فأنا محتاج إليه" أي؛ (كان جائعًا)، فسأل ربَّه –عزَّ وجلَّ– ولم يسأل النَّاس [3].

ولما رجعت المرأتان إلى أبيهما بالغنم سريعًا على غير عادتهما سألهما عن تأخرهما فقصتَا عليه ما فعله موسى –عليه السَّلام– فبعث إحداهما لتدعوه إليه، فجاءته مستحيِيَةً مُتَسَتِّرَةً فقالت له متأدِّبة في حديثها لكي لايظنَّ فيها السُّوء: إنَّ أباها يدعوه ليكافئه على مساعدته لهم، ولما وصل قصَّ عليه قصَّة هربه من فرعون، فقال له: "لَا تخف نجوتَ مِنَ القومِ الظَّالمينَ"، وبعدها طلبت البنت من أبيها أن يستأجره لأنَّه خير من يُستأْجَرُ لمثل هذه المهمَّة فهو قوي أمين»[4].

---

[1] – ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، ج2، ص603.

[*] – ابن إبراهيم –عليهما السَّلام– والبير تنسب إليه، وصار مدين اسم قبيلة، بحر العلوم، السَّمرقندي، ج2، ص603.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص603.

[3] – ينظر: أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن عربي، (ت468هـ–543هـ)، مر، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424 هـ– 2003م، ج3، ص493.

[4] – ينظر: أيسر التفاسير، أسعد حومد، الكتاب مرقم آليا موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير، ج1، ص3159.

وقال الرَّجل لموسى-عليه السَّلام- إنِّي أريد أن أنكحك إحدى ابنتي بمعنى؛ عرض وليَّتهُ على الزَّوج (موسى –عليه السَّلام-)، وهذه سنَّة قائمة، والنِّكاح موقوف على لفظ التَّزويج، والإنكاح بمهر رعي الغنم لمدَّة ثماني سنوات، وهذه حُجَّة شعيب لمنع موسى من الرُّجوع إلى مصر حتَّى لا يصاب بمكروه ثم قال له شعيب: "إنَّه لا يريد أن يشقَّ عليه بفرضِ أطولَ الأجلينِ، ولا أن يؤذيه وإنَّه سيجدهُ من الصَّالحين الَّذين يوفون بعهودهم وشروطهم"، فردَّ عليه موسى-عليه السَّلام- الأمر كما قلت، "وأنا متى عملت أقلَّ الأجلين برئت ذمتي من العهد وحققت الشَّرط، ولا حرج عليَّ في ذلك ثمَّ توكَّل على الله "فلمَّا أوفى موسى-عليه السَّلام- الأجل المتفق عليه، سار بأهله من مدين باتجاه مصر »[1].

نستنتج من خلال الآيات الواردة في صورة القصص الَّتي ذكرناها سلفًا، ومن خلال آراء المفسرين قد تضمَّنت آليات، وروابط ساعدت في بناء ونظم النَّص الحجاجي، والمتمثِّلة في الخطاب، نحو قوله: "يا موسى إنَّ الملأ يأتمرونَ بكَ لِيقتلوكَ" حوار بدأه هذا الرَّجل بالنِّداء، ليلفت انتباه موسى-عليه السَّلام- ثمَّ أكَّد له الخبر "إنَّ الملأ يأتمرونَ بِكَ"، ثمَّ أقام خطابه على أسلوب الأمر في قوله: "فاخرجْ إنِّي لكَ من النَّاصحين" الَّذي أفاد به جواب طلبه (الرَّجل)، للخروج والهروب من القوم الظَّالمين، وما دعَّم هذا النَّص الحجاجي، الحوار الَّذي حدث بين موسى-عليه السَّلام- وابنتي شعيب، لسبب عدم استطاعتهما السَّقي فوظَّف صيغة الاستفهام للدَّلالة على الاستفسار.

واستعمل أسلوب الدُّعاء، لطلب الاستغاثة من الله –سبحانه وتعالى- وهذا مايدخل في نظريَّة أفعال الكلام باعتبارها ضروريَّة في بناء وتقوية النَّص الحجاجي فهي الَّتي تفضي على لغته صبغة التَّأثير واختتم (النَّص الحجاجي)، بآلية الحوار الَّذي دار بين النَّبي موسى وشعيب –عليهما السَّلام- وابنتيه، وهنا تظهر حُجَّة (شعيب –عليه السَّلام-) في منعه بطريقة غير مباشرة للعودة إلى أهله في مصر.

قال تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ١٣ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ

[1]- ينظر: أيسر التفاسير، أسعد حومد، ص3163، 3162، 3161 .

يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [1].

إنَّ ضعف الإنسان وعجزه وقلقه، ومخاوفه، وحرصه على حبِّ الذَّات والظَّفرِ بأعظم المغانم وأكثرها يجعله يقع في أحوال لا تتَّفق مع أصول الأخلاق ولا تنسجم مع الطَّبائع السَّوية، وهكذا كانت تصرفات إخوة يوسف –عليه السَّلام– معه غريبة في الكيد والحسد، والتآمر الدَّنيء، فلم يتورَّعُوا أن عرَّضوا أخاهم للموت البطيء، أو القتل بالتَّسبب، فتآمروا على إلقائه في الجبِّ، فإمَّا أن يموت أو يلتقطه مسافر فيجعله عبدًا خادمًا لسيِّده، وينتهي في كلَا الحالتين وجوده، ويبدأ تصوير المؤامرة.

"لقد كانَ في يوسفَ...إنْ كنتم فاعلينَ"، إذ قال إخوة يوسف: والله وأخوه بن يامين شقيقه أحبُّ إلى أبينا منا، وهما صغيران ونحن رجال عشرة جماعة تضرُّ وتنفع وتحمي وتخذل أي؛ لنا كانت تنبغي المحبَّة والمراعاة، إنَّ أبانا لفي خطأ واضح مجاف للصَّواب، فأمروا بقتله لكسب محبَّة أبيهم، "إذ قالوا لَيُوسفُ...ضَلَالٍ مُبينٍ"، فهذه جملة مستأنفة بيانًا لأنَّ الكلام المتقدم يثير سؤالًا في نفوس السَّامعين من غرض القائلين، وقد جعله في المقدِّمة لزرع التَّأثير أكثر في المتلقي، وهذا فن من صناعة الخطابة، وهو تهيئة المقال قبل البدء في عرضه على الملأ»[2].

وافتتح المقول بلام الابتداء المفيد للتَّوكيد، لقصد تحقيق أسلوب الخبر من خلال إقناع بعضهم بالمؤامرة على يوسف –عليه السَّلام– و"اللَّام" في قوله: "يخلُ لَكُمْ..."، لام لعلَّة أي؛ يخلُ وجه أبيكم لأجلكم كما استعمل صيغة الأمر في "اقتلوا" الدَّالة على تنفيذ الطَّلب بالقتل، وقولهم: "قالوا يَا أبانَا...وإنَّا له لنَاصِحُونَ" كناية عن الشَّفقة والحنان والرَّأفة (النِّفاق في إظهار المحبَّة لأخيهم)، ليوهموه عن رأيه في تخوفه منهم أي سفسطة، وهي حُجَّة مغالطة اتَّخذها الإخوة لإقناع أبيهم»[3].

"قالوا يَا أبانَا مَالَكَ...لحافظونَ"، استئناف بياني لأنَّ سرد القصَّة يستدعي تساؤل السَّامع عمَّا جرى بعد إشارة أخيهم عليهم، وابتداء الكلام مع أبيهم لقولهم: "يَا أبانَا" يقضي تلك عادتهم في خطاب الابن أباه وأتوا بالاستفهام المستعمل في الإنكار على نفي الإئتمان، وبعد أن سمع لومهم عليه سمح لهم بذلك، وقوله

[1] – سورة يوسف، الآيات : 7-18.

[2] – ينظر: الوسيط للزحيلي، وهبة مصطفى، ج2، ص1094، 1093 .

[3] – ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج12، ص222.

"قال إنِّي ....لَيحزُنُنِي"، وجاء هذا القول على طريقة المحاورة، حيث أظهر لهم سبب امتناعه من خروج يوسف –عليه السَّلام– معهم إلى الرِّيف، وأنَّه يخشى أن تأكله الذِّئاب فبُعْدُهُ عنه يحزنه، واستعمل المؤكِّد "إنَّ" لقطع إلحاحهم ويسري هذا التَّأكيد إلى جملة "وأخاف أن يأكله الذئب"(جملة معطوفة)»[1].

"فلمَّا ذهبوا به..والله المستعانُ على ماتصفونَ" أي؛ لما ذهب إخوة يوسف –عليه السَّلام– بيوسف بعد ما أذن له أبوه، وعزموا على أن يجعلوه في قاع البئر، ثمَّ إنَّ الله لطف به بأن أوحى إليه وهو في تلك الحالة الحرجة "لَتُنَبِّئَنَّهُم بأمرهم هذا وهم لا يشعُرُونَ " أي؛ سيكون منك معاتبة لهم وإخبار عن أمرهم هذا وهم لا يشعرون بذلك الأمر، وهي بشارة له بالنَّجاة»[2].

وينتهي المشهد المفضوح ويعود الإخوة الخُباة ....منتحِلِينَ، ومُتَسلِّحِينَ بالحجج الواهية المغالطة يتباكون في العشاء بالدُّموع الكاذبة...، وزعموا أنَّ الذِّئب المفترس أكل أخاهم، وأحسُّوا ضمنًا بالكذب (أي ضعف حجتهم)، حين قالوا: "ومَا أنت بمؤمنٍ "–أي مصدق– لنا ولو كنَّا صادقين، وكأنَّهم أخبروا عن أنفسهم وهم يتمادون في تمويهاتهم، وقوله تعالى: "بدمٍ كذبٍ" أي؛ بدم ذي كذب، وقول يعقوب –عليه السَّلام–"بل سولت لكم أنفسكم" السَّيئة أمرًا منكرًا غير ما تصفون، وتذكرون، فصأصبر صبرًا جميلًا على هذا الفعل الَّذي نافقتم فيه»[3].

احتوى مضمون هذه الآيات محاورة يعقوب –عليه السَّلام– مع أبنائه حول قضيَّة مؤامرة قتل يوسف –عليه السَّلام– فكانت مراجعة أبيهم قائمة على حجج وبراهين لبلوغ الاقتناع بين الأطراف المتحاورة، فكلٌّ من هذه الأطراف اعتمد على أساليب ساهمت في إيقاد فتيل المفاعلة بينهم، "كأفعال الأمر" من خلال فعل "القتل"، والنَّهي" في لا تقتلوا، لا تأمنَّا"، والمؤكِّد "إنَّ"، و"لام" التَّوكيد، و"بل" الَّذي ربط بين حُجَّتين مُغَايِرَتَيْنِ وأفاد إبطال لدعواهم أنَّ الذِّئب أكل يوسف –عليه السَّلام– كما أفاد الانتقال من حُجَّة إلى حُجَّة أخرى.

خلاصة:

إنَّ الحجاج ضرورة حتميَّة وآلية لابد منها في مجالات الحياة (إعلام،سياسة،دعاية،سيكولوجية...)، إذ لا غنى عنه ولا مفر منه في طرائق الإقناع الَّتي يسلكها المتكلِّم، وأنَّ أهم شيء يقوم عليه هو تقديم الطُّروحات

[1] – ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج12، ص 230، 229، 227 .

[2] – ينظر: تفسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، السعدي، ج1، ص394.

[3]– ينظر: الوسيط للزحيلي، ج2، ص1096، 1097، 1098.

والَّتي سبق لنا وذكرناها في هذا الجزء التَّطبيقي، والَّتي تدعو العقول إلى التَّدبُّر الموضوعي والواعي بغية بناء الرَّأي الصَّحيح، فهو يمثل قوَّة تدفع المخاطب إلى التَّفكير، والتَّأمل لإعمال العقل، من أجل الحصول على الإقرار بحقيقة معينة، ووضوحه كان بصورة أسمى في النَّص القرآني، من خلال ما لاحظناه في طيَّات هذه الآيات البيِّنات، والَّتي سبق ذكرها، فهو خطابًا حجاجيًا جاء ردًّا على خطابات (علنيَّة كانت ،أم ضمنيَّة) فيطرح أمرًا أساسيًّا، يتمثَّل في الإيمان بالله الواحد الأحد، ويقدم الحجج (بمستويات مختلفة) المدعمة لهذا الأمر.

ولعلَّه أطرف أساليب التَّذكير وأنجعها، وأخفُّها على الأسماع وأوصلها للرِّسالة، وأسهلها في استنباط الأحكام، وأقدرها على توجيه القصص لما فيها من متعة والعبر،و هذه هي الغاية الَّتي لأجلها تواترت قصص الأنبياء عليهم -أفضل الصَّلاة وأزكى التَّسليم- فالعبرة من مناظراتهم، وحواراتهم، وجدلهم ...إنَّما هي دروس للمؤمنين، خاصَّة كونهم أكثر تدبُّرًا لما جاء به الخطاب القرآني، فهو لا يقصُّ قصَّة إلَّا ليواجه بها حالة، ولا يقر حقيقة إلَّا ليغير بها باطلًا، إنَّه يتحرَّك حركة واقعيَّة في وسط واقعي حي، لذلك يقال إنَّه صالح لكل زمان ومكان.

فأحيانًا ماتلتقي مصطلحات الحجاج بمعنى: (البرهان، الإقناع، الحوار، الجدل، المناظرة، الخطاب...) في آية كما رأينا في ما سلف، فبعض هذه الألفاظ تصل إلى حدِّ التَّطابق والتَّرادف، وبعضها الآخر يثبت به في وجه من الوجوه، ولذلك إنَّ كلَّ قضيَّة فكريَّة تحدث عنها القرآن الكريم تدخل في" الحجاج"، لأنَّها وإن لم تكن في لفظه فهي تصبُّ في معناه، ومن هنا تعتبر مصطلحات الحجاج حفيدة إنْ لم تكن مباشرة له.

خاتمـــة

خاتمـــــة:

إلى هنا يكون هذا البحث، قد استوفى بعون الله وفضله فصوله ومباحثه، وبعد دراستنا لنظريَّة الحجاج هذه خلاصة لأهم النَّتائج الَّتي توصَّلنا إليها من خلال الفصول: التَّمهيدي، والنَّظري، والتَّطبيقي.

1. إنَّ مفهوم مصطلح الحجاج عائم يتحرَّك عبر دلالات متنوعة في كثير من الحقول المعرفيَّة، فارتبط عبر مساره التَّاريخي، بمصطلحات طالما أعتبرت مرادفات له (كالجدل، والمناظرة، والحوار، والبرهان...) فكلُّ من هذه المصطلحات تصبُّ في غاية تحقيق الهدف التَّبليغي .
2. الحجاج عند أرسطو تابعًا للبرهان من جهة وللخطابة من جهة أخرى.
3. الحجاج السُّوفسطائي يغلب عليه الطَّابع الفلسفي من خلال التَّلاعب بالألفاظ والمغالطة والإيهام هروبًا من الحقيقة، كما أنَّه ارتبط بمبدأ اللَّذة والمنفعة عند بعضهم "ككوراكس".
4. لقد كان الحجاج في الفكر الألسني الغربي الحديث، وبالأخص عبد "بيرلمان" في رصد وضع نظريَّة جديدة، أوَّلها "البلاغة" أو "الخطابة الجديدة "، إذ حاولوا إضفاء بعد ذهني (عقلي) على الحجاج، فهو عنده حوار يسعى إلى إحداث، اتِّفاق بين الأطراف المتحاورة، وفي جوٍّ من الحريَّة، بعيدًا عن الاعتباطيَّة في الخطابة، والالتزام الَّذي يطبع الجدل، بهدف تقوية حِدَّة الإذعان .
5. في الفكر العربي القديم، نجد الحجاج يرتبط بالجدل ويظهر مرادفا له، وانحصرت مبادئ الحجاج في التُّراث البلاغي العربي، من خلال التَّأثير والإقناع، فتوفرت على جانب تداولي هام مرتبط بنظريَّة الحجاج، حيث تناول أهم الوسائل اللُّغويَّة وغير اللُّغويَّة المؤدِّية إلى الاستمالة والاستلطاف عند كل من "ابن وهب ، والقرطاجني "، وفكرة البيان والمقام عند "الجاحظ".
6. أمَّا الحجاج في الفكر الغربي الحديث ، فإنَّ انفتاح الباحثين العرب المعاصرين على النَّظريات والمناهج الغربيَّة، سمح لهم بإثراء درس الحجاج العربي المعاصر، "الفلسفي ، والبلاغي، واللِّساني" بوعي علمي دقيق، واهتمامهم بعنصر الحجاج، والكشف عن ما يحوي التُّراث العربي الإسلامي من ملامح النَّظريَّة الحجاجيَّة ، ومن هؤلاء الباحثين "طه عبد الرحمن ، ومحمد العمري"، اتَّسم الحجاج عند "طه عبد الرَّحمن" بالطَّابع الفلسفي وزاوج بين القديم والحديث ، واعتبر الإستعارة مركز الحجاج، في حين أنَّ "محمد العمري"قد اهتمَّ بالخطاب الإقناعي واعتمد على الأسس الأرسطيَّة.
7. الخطاب القرآني في مفهومه متميز عن سائر الخطابات البشريَّة ، فهو يتوجَّه إلى أصناف متعدِّدة من المخاطبين في عصور مختلفة، ويستهدف إرشادهم جميعًا، مراعيًا تدرُّج معانيه حسب الأفهام والعقول.

8. نلمح من خلال التَّعاريف اللُّغويَّة والاصطلاحيَّة، أنَّ الحجاج يعتمد على مرسِل ومرسَل إليه، حيث إنَّ الدَّور الكبير في هذه العمليَّة الحجاجيَّة يعود إلى المرسِل نظرا لما يبذله من جهود ذهنيَّة للحصول على حجج مقنعة، وعلى المرسِل أن يكون بارعًا في اختياره لهذه الحجج نظرًا لتفاوتها في درجات الإقناع.
9. يشترط في البرهان خلوّه من اللُّبس ، وأن تحقِّق تراكيبه اللُّغويَّة الانسجام والاتساق، وملائمة المقام وسلامة اللُّغة ووضوحها وبراعة الأسلوب...
10. تكمن أهميَّة الحجاج في تبادل المعارف والخبرات بين بني البشر، كما أنَّه يكسب الإنسان آداب المحاورة والنِّقاش والجدال، في إطار لغوي منظَّم، والهدف منه هو تحقيق الإقناع في قضيَّة ما اعتمادًا على الأدلَّة والحجج والبراهين القاطعة كما أنَّ استجابة الجمهور له انعكاس فعَّال في نجاعة أيِّ حجاج.
11. للحجاج أدوات كثيرة من بينها: "لكن، بل ، إذن..."، فهي تحكم سياقات حجاجيَّة، وتميز بين قوَّة الحُجَّة من ضعفها وتعمل على تقوية المعنى وتحقيق الانسجام والاتساق ، وجمال أسلوب وبراعة الخطاب .
12. من أفعال الكلام: "الأمر، النَّهي، والاستفهام، والتِّكرار..."، فهي روابط تهدف إلى تقوية النَّص الحجاجي، مما تؤدي إلى لفت انتباه المتلقي إلى المعنى المحيط بالسِّياق .
13. تقوم العمليَّة الحجاجيَّة على آليات منها: "المحاورة، المناظرة، البرهان، الاستدلال، الجدل والخطاب...".
14. للحجاج أصناف كثيرة منها: "التَّوجيهي، التَّقويمي، التَّجريدي"، إضافة إلى أنواع أخرى، "كحُجَّة التَّبرير، وأداتها بما أنَّ "، "وحجَّة الاتِّجاه"، "والحجَّة التَّواجدية "، وتتمثَّل في علاقة الشَّخص بعمله "والحُجَّة الرَّمزيَّة"، "وحجة المثَل"، "وحُجَّة الاستشهاد"، كما أنَّ هناك "حجاج شفوي، وحجاج مكتوب"، فالشَّفوي حجاج مختزل من خلال بسط الحجج وحشد الدَّلائل والبراهين، أمَّا المكتوب متعلِّق بالكتابة فديمومته رئيسيَّة في الزَّمان.
15. للحجاج طرق تتمثَّل في: التَّأكيدات الأسلوبيَّة، كالقصر بالنَّفي والاستثناء، والمقابلة، والتَّأكيدات الأداتيَّة، نحو: "قد، لقد، إنَّ ".
16. ففي الجزء التَّطبيقي اكتشفنا أنَّ الحجاج وآلياته، وروابطه يتجسد في القرآن الكريم، من خلال قصص الأنبياء والمرسلين، فسور الحجاج جاء فيها نقاش ومحاورة، ومناظرة، وجدال الأنبياء لأقوامهم كالنَّبي

إبراهيم، وموسى، ونوح، ويوسف...-عليهم السَّلام- حيث حملت هذه القصص القرآنيَّة، مواعظ وحكم، وإرشادات وعِبَر، وآداب.

17. كل حجاج يستمد معناه وحدوده، ووظائفه من مرجعيَّة خطابيَّة محدَّدة، ومن خصوصيَّة الحقل التَّواصلي، الَّذي يكتنفه، وهذا من خلال النَّماذج الحجاجيَّة الَّتي اختلفت باختلاف الوضعيات التَّواصلية.

18. إنَّ الهدف الأساسي لكلِّ خطاب بالحُجَّة، هو الوصول إلى إقناع السَّامع بفكرة معينة،كان قد أخذ منها موقف الرَّافض أو المتشكِّك، ومن ثمَّ يتمُّ أولًا بإبطال الفكرة المراد نقضها، والَّتي تكون هي المسيطرة على ذهن المتلقي، ثَّم إحلال مكانها، الفكرة الَّتي جيء بالحُجَّة من أجل إثباتها.

19. إنَّ الأسلوب النَّاجح للحوار يكمن في اللِّين، وما يرتبط به من سلوك حميد، يتجلَّى في التَّأدُّب والصَّبر والنُّصح، والهدوء والرِّفق، والقول الحسن السَّديد، خاصَّة إذا تعلَّق الأمر بأقرب النَّاس، كما رأينا في حجاج إبراهيم –عليه السَّلام- مع أبيه.

20. إنَّ تعامل الخطاب القرآني مع موضوع الأسئلة كان مختلفا وبشكل جذري، إذ كانت الأديان السَّابقة تحاول عبر الأجوبة المنزَّلة تحديد دور التَّساؤل وإنهائه، بينما عمد الخطاب القرآني إلى استثمار هذا التَّساؤل وتأصيله في طريقة التَّفكير، ليكون المرتكز الأول والنُّقطة الأولى في الإقناع، كما رأينا في استدراج إبراهيم –عليه السَّلام- قومه بالسؤال.

21. يُعدُّ تقسيم الحجج إلى أجزاء من أهمِّ الآليات الحجاجية البلاغية الواردة في سورة يوسف-عليه السَّلام- خاصَّة في أقوال إخوة يوسف-عليه السَّلام- إذ نجدهم في الموقف الواحد يدعِّمون كلامهم بحجج متتالية مجزَّأة تخدم أغراضهم ونواياهم (محاجَّتهم لأبيهم يعقوب-عليه السَّلام-ثمَّ لأخيهم يوسف-عليه السَّلام-).

22. من الأدوات اللُّغوية للحجاج الرَّوابط الحجاجية الَّتي تساهم في تساوق الحجج وتعاونها لتحقيق نتيجة واحدة، وفي تعارض الحجج، تحقق كل منها نتيجة معاكسة يراد الوصول إليها، فمن خلال ما ورد في النَّماذج المذكورة سلفا غلبت الرَّوابط الحجاجيَّة على أقوال شخصيات القصَّة (كالواو، إذا، لكن، بل، ...)، بما يدلُّ على انسجام خطاباتها حجاجيًا من جهة، وتوجيهها وجهة قوية من جهة أخرى، للوصول إلى استمالة المخاطب والتَّأثير فيه.

23. إنَّ دور أفعال الكلام (الخبري والإنشائي) في هذه السُّور كان حجاجيًا بالدرجة الأولى، يهدف إلى الإقناع، فتوافرت عليها السُّور إمَّا في مواضع الحوار بين الشَّخصيات، أو في الخطاب القرآني العام في السُّور، وهذا يعد من الآليات الإستراتيجيَّة الإقناعية في القرآن الكريم.

24.من الثَّابت أنَّ لغة القرآن إعجاز وبيان، فهي تختلف عن اللُّغات الأخرى (كالشِّعر، والنثر...) من ناحية التَّقديم والتَّأخير، ومن حيث التَّشابه والاختلاف في التَّعبير، والذِّكر والحذف، وما إلى ذلك من تراكيب لغويةّ وأغراض بلاغيَّة أخرى، لما لها من الدِّقة في التَّعبير والإحكام في الفنِّ والعلو في الصَّنعة فالتَّعبير القرآني يحسب لكلِّ كلمة حسابَها بل لكلِّ حرف ولكلِّ حركة، وهنا يكمن إعجازه فلو اجتمعت الإنس والجن على أن يفعلوا مثل هذا ما قدروا ولا قاربوه حتَّى.

ولا ندعي في الأخير أن يكون هذا العمل المتواضع قد استوفى كل ما تعلّق بموضوع الحجاج، و تطبيقاته على بعض آيات القصص في القرآن الكريم، لكنّا نعدّه حلقة من حلقات مختلف الأعمال التي تناولت هذا الموضوع، عساه ينفع كل مهتم و قارئ و باحث يحمل بين يديه هذا العمل.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصحف الشريف برواية حفص.

1. الإحاطة في علوم البلاغة، عبد اللطيف شريفي، زبير دراقي، ديوان المطبعة الجامعية، بن عكنون الجزائر، دط، 2004م.

2. أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن عربي (ت468هـ-543هـ)، مر، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ 2003م، ج3 ،2.

3. أدب الحوار، سعد بن ناصر الشَّثري، تع، عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، دار كنوز ،إشبيليا الرياض، ط1، 1427هـ- 2006م.

4. استخراج الجدل من القرآن الكريم، ناصح الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن نجم بن عبد الوهاب الأنصاري، ابن الحنبلي، تع، محمد حسن صبحي حلاق، مؤسسة الريان، ط1، 1413هـ - 1995م.

5. إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشَّهري، دار الكتاب، الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

6. إستراتيجية الخطاب الحجاجي، دراسة تداولية في الإرساليَّة الإشهاريَّة العربيَّة، بالقاسم دفة، مجلة المخبر أبحاث في اللُّغة العربيَّة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر.

7. الأشباه والنَّظائر في النَّحو، جلال الدِّين السَّيوطي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، دط، ج3.

8. أيسر التَّفاسير، أسعد حومد، الكتاب مرقَّم آليا غير موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التَّفاسير، ج1 .

9. بحر العلوم، أبو اللَّيث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السَّمرقندي (ت373هـ)، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو ضمن خدمة مقارنة التَّفاسير، ج1،2.

10. البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان أثير الدِّين الأندلسي(745هـ)، تح، صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، دط، 1420هـ، ج6، 4،5 ، 2.

11. البرهان في علوم القرآن، بدر الدِّين محمد بن عبد الله الزَّركشي، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التُّراث القاهرة، ط3، 1984م، ج3.

12. البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين إسحاق بن وهب، تح، جفني محمد شرف، مطبوعات الرِّسالة عابدين، مصر، دط، دت.
13. بلاغة الوفرة وبلاغة النُّدرة، مبحث في الإيجاز والإطناب نقد أدبي، نور الهدى باديس، دار الفارس الأردن، ط1، 2008م.
14. البلاغة والتَّطبيق، أحمد مطلوب، حسن البصير، وزراة التَّعليم العالي والبحث العلمي، جمهوريَّة العراق ط2، 1420هـ - 1999م.
15. البيان والتَّبيين، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تح، عبد السَّلام هارون، دار الفكر، دط دت،ج1، 4.
16. تاريخ نظريَّة الحجاج، فيليب بروتون، جيل جوتيه، تر، محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النَّشر العاتمي جدة، ط1، 1432هـ-2011م.
17. التَّأصيل للحوار والجدال والحجاج إسلاميًا، إحسان عبد المنعم سمارة، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2015م.
18. التَّحرير والتَّنوير، محمد الطَّاهر بن عاشور بن محمد الطَّاهر بن عاشور التُّونسي (ت1393هـ)، الدَّار التُّونسية للنَّشر والتَّوزيع، تونس، دط، 1984م، 1، 7، 12، 16.
19. التَّداوليَّة والحجاج، مداخل ونصوص، صابر الحباشة، عاصمة الثَّقافة العربيَّة، دمشق ، ط1، 2008م.
20. التَّعريفات، علي بن محمد الشَّريف الجرجاني، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصُّلح، بيروت، دط 1985م.
21. تفسير القرآن العظيم، عماد الدِّين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير الدَّمشقي (ت475هـ)، تح، مصطفى السَّيد محمد، مؤسَّسة قرطبة، جيزة ، ط1، 1421هـ، 2000م، مج، ج5، 4، 2.
22. تفسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرَّحمن، بن ناصر بن عبد الله السَّعدي(ت1376هـ) تح، عبد الرَّحمن بن معلا اللُّويحق، مؤسَّسة الرِّسالة، ط1، 1420هـ، 2000م، ج1.
23. تفسير الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تح، مجدي باسلوم، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ 2005م، ج14، 6، 4 .

24. التَّفسير المظهري، محمد ثناء الله، تح، غلام نبي التُّونسي، مكتبة الرَّاشديَّة، الباكستان، دط 1412هـ ج6.
25. التَّفسير الميسر، نخبة من أساتذة التَّفسير، مجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشَّريف، السُّعودية ط2، 1430هـ -2009م، ج1.
26. التَّفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، دار الجيل، بيروت، ط1، 1413هـ، ج2.
27. جامع البيان في تأويل القرآن الكريم، محمد بن جرير بن يزيد ين كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطَّبري، تح، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرِّسالة، ط 1، 1420هـ-2000م، ج22.
28. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر القرطبي، تح، عبد الله بن عبد المحسن التُّركي، ومحمد رضوان عرقيوسي، مؤسَّسة الرِّسالة، ط1، 1467هـ -2006م، ج9 ،1،7.
29. الجدل في القرآن الكريم ، خصائصه ودلالته، جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجًا-دراسة لغويَّة دلاليَّة-رسالة ماجيستير، يوسف محمد لعساكر، جامعة الجزائر، بن يوسف بن خدة ، 2004-2005م.
30. جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، دار ابن الجوزي للطبع والنَّشر والتَّوزيع، ط1، 2009م.
31. الحجاج، مجلة عالم الفكر، علي حسين اليوحه، إشراف : عبد النَّبي ذاكر وآخرون، ع2، أكتوبر ديسمبر، 2011م ، مج4.
32. الحجاج رؤى نظريَّة ودراسات تطبيقية، حسن خميس الملخ وأخرون، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2015.
33. الحجاج في الشِّعر العربي القديم من الجاهليَّة إلى القرن الثَّاني للهجرة، بنيته وأساليبه، سامية الدُّريدي عالم الكتب الحديث، إربد، ط1428،1هـ-2008م.
34. الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبيَّة، عبد الله صولة، جامعة منوبة، تونس دط، 2001م، ج1.
35. الحجاج مفهوم ومجالات، دراسات نظريَّة وتطبيقيَّة في البلاغة الجديدة، حافظ إسماعيل علوى، عالم الكتب الحديث، إربد، دط، 2010م، ج4، نقلا عن كتاب منهاج البلاغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني.

36. الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه –قراءة في كتاب المساكين ل: الرَّافعي، هاجر مدَّقن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1434هـ –2013م .
37. الخطاب في نهج البلاغة بنيته وأنماطه ومستوياته، دراسة تحليلية، حسين العمري، دار الكتب العلميَّة بيروت، لبنان، ط1، 2010م.
38. الخطاب وخصائص اللُّغة العربيَّة، دراسة في الوظيفة والبنية والنَّمط، أحمد المتوكل، الدَّار العربيَّة للعلوم دار الأمان، الرِّباط، ط1، 1431هـ–2010م.
39. دراسة الأفعال الكلاميَّة في القرآن الكريم، مقاربة تداوليَّة، مجلة الخطاب، حكيمة بوقرومة، جامعة تيزي وزو، ع3، 2008م.
40. دراسة في الحجاج، قراءة لنصوص من الأدب العربي القديم، سامية الدُّريدي الحسني، عالم الكتب الحديث، عمان ،ط1، 1430هـ، 2009م .
41. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحتفي الخلوتي المولى أبو الفداء (ت1127هـ) دار الفكر، بيروت ، دط ، دت، ج10.
42. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدِّين السَّيد محمود الألوسي البغدادي (ت127هـ)، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، لبنان، دط، ج12.
43. زحام الخطابات، عبد الله العشي، دار الأمل، تيزي وزو، دت، دط.
44. صحيح مسلم، حديث رقم 369 كتاب الطَّهارة، باب إسباغ الوضوء على المكاره، رياض الصَّالحين الإمام النَّووي، حديث رقم:131.
45. صفوة التَّفاسير، محمد علي الصَّابوني، دار الصَّابوني، القاهرة، ط1، 1417هـ–1997م، ج2.
46. الصِّناعتين، أبو هلال العسكري، تح، علي محمد البجَّاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العسكريَّة بيروت، ط1، دت.
47. العوامل الحجاجيَّة في اللُّغة العربيَّة، عز الدِّين النَّاجح، مكتبة علاء الدِّين، صفاقس، ط1، 2011.
48. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني، درا ابن كثير، دار الكلم الطَّيب، دمشق بيروت، ط1، 1414هـ، ج5، 2.

49. فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربيَّة من أرسطوا إلى اليوم حمادي صمود، منشورات كليَّة الآداب، منوبة، تونس، 1998م، نقلا عن هشام الرِّيفي، الحجاج عند أرسطو.
50. الفلسفة واللُّغة، نقد المنعطف اللُّغوي في الفلسفة المعاصرة، الزَّاوي باغورة، دار الطَّليعة، بيروت ط1، 2005م
51. فن الشِّعر، إبراهيم حمادي، مكتبة الأنجلو المصريَّة القاهرة، دط، 1989م.
52. في بلاغة الخطاب الإقناع، مدخل نظري وتطبيقي، في دراسة الخطابة العربيَّة، الخطابة في القرن الأول نموذجًا، محمد العمري، دار الثَّقافة الدَّار البيضاء، ط1، 1406هـ- 1986 م .
53. في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء ،نواري سعودي أبو زيد، بيت الحكمة ،سطيف، الجزائر ط1، 2009م.
54. قاموس المحيط، مجد الدِّين محمد يعقوب الفيروز أبادي، إشراف محمد نعيم، مكتب تحقيق التُّراث في مؤسَّسة الرِّسالة، دط، دت.
55. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزَّمخشري (ت427هـ-583هـ)، تح، عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، مكتبة العين الرِّياض، ط1 1418هـ- 1998م،ج21.
56. لسان العرب، ابن منظور، تح، عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، كورنيش، النِّيل، القاهرة دط،ج1، 9، 11.
57. اللِّسان والميزان أو التَّكوثر العقلي، طه عبد الرَّحمن، المركز الثَّقافي العربي، الدَّار البيضاء، المغرب، ط1 1998م.
58. لسانيات الخطاب وأنساق الثَّقافة، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثَّقافة، عبد الفتاح أحمد يوسف، الدَّار العربيَّة للعلوم، الجزائر، ط1، 1431هـ – 2010م.
59. اللُّغة والحجاج، أبو بكر العزَّاوي، العمدة في الطَّبع، الدَّار البيضاء، ط1، 1426هـ - 2006م.
60. المثل السَّائر في أدب الكاتب والشَّاعر، ابن الأثير ضياء الدِّين، تح، أحمد الحوفي وبدوي طبانة منشورات دار الرفاعي، الرِّياض، ط1، 1983م، ج2.

61. مجلة الحجاج النَّحوي، بواعثه وتقنياته، غَربي بكَّاي مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزئر، جامعة ابن خلدون، تيارت، ع10، جوان2015 ، مج3.
62. مجلة الحوار في القصَّة القرآنيَّة، قصَّة موسى –عليه السَّلام–، نبهان حسون السَّعدون، يوسف سليمان الطَّحان،كلية العلوم الإسلاميَّة، جامعة الموصل، 2008م ،ع74، مج7.
63. مدارك التَّنزيل وحقائق التَّأويل،أبو البركات عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمود حافظ الدِّين النَّسفي(ت710ه)، تح، يوسف علي بديوي، مر،محي الدِّين ديب مستو، دار الكلم الطَّيب، بيروت ط1، 1419ه- 1998م، ج1.
64. معالم التَّنزيل في تفسير القرآن العظيم، محي السُّنة، أبومحمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشَّافعي(ت510ه)، تح، عبد الرَّزاق المهدي، دارإحياء التُّراث العربي، بيروت، ط1، 1420ه،ج2، 3
65. معاني النَّحو، فاضل السَّامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، دط، دت، ج1.
66. معجم العين ،الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح، مهدي مخزومي، إبراهيم السَّامرائي، دط، ج3.
67. معجم المصطلحات البلاغيَّة وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي، العراق، دط، 1403ه -1983م ، ج3.
68. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر الحسن بن الحسين التَّيمي فخر الدِّين الرَّازي خطيب الرَّي (ت606ه)، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، ط3، 1420ه، ج1، 7، 17.
69. المقتطف م عيون التَّفاسير، مصطفى الخيري المنصوري (ت1390ه)، تح، محمد علي الصَّابوني، دار القلم، دمشق، الدَّار الشَّامية، بيروت، ط2، 1418ه-1996م ، ج13.
70. المناظرات الرُّؤى والرَّأي الآخر، مجدي إبراهيم محمد إبراهيم، دار الوفاء لدنيا الطِّباعة والنَّشر الإسكندريَّة ط1، 2014م.
71. المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزُّحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق ط1418،2، ج13، 16.
72. نزهة الألباب في طبقات الأدباء، أبو البركات الأنباري، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريَّة بيروت، ط1، 1424ه- 2003 م.
73. النَّظريات اللِّسانية والبلاغيَّة والأدبيَّة، من خلال البيان والتَّبيين، عند الجاحظ، محمد الصَّغير بناني ديوان المطبوعات الجامعيَّة، بن عكنون، الجزائر، دط .

74. نظريَّة أفعال الكلام العام، كيف ننجز الأشياء بالكلام، عبد القادر قينيني، أوستين، إفريقيا الشَّرق دط، 1991م.
75. الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1998م، ج9.
76. الوسيط، وهبة بن مصطفى الزُّحيلي، دار الفكر دمشق، ط1، 1422هـ،ج2.

فـهــرس

الآيـــات

فهرس الآيات القرآنية:

الرقم	السورة	الآيــة	رقمها	الصفحة
1	البقرة	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾	30	46
2	البقرة	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾	258	59
3	البقرة	﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾	111	64
4	الأنعام	﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾	149	17
5	الأنعام	﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ	83-74	66

		﴿ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ ﴾		
6	الأعراف	﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾	173-172	12
7	الأعراف	﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥٩﴾ ﴾	59	40
8	الأعراف	﴿ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴿١١٦﴾ ﴾	116	78
9	التوبة	﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ	12	50

		لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾		
10	هود	﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾	34-25	74
11	يوسف	﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾	17	36
12	يوسف	﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ	109	39

		ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾		
13	يوسف	﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ۗ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾	91	18–7
14	الحجر	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ	86	44–26

		وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾		
15	النحل	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾	43-44	17
16	الكهف	﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾	23	44
17	الكهف	﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾	37-38	45
18	الكهف	﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى	10-12	84

		ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴿١٢﴾ ﴾		
19	الكهف	﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذٗا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ ﴾	21-19	84
20	طه	﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ	23-8	80

		﴿حَيَّةٌ تَسۡعَىٰ ٢٠ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ٢١ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ٢٢ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ٢٣﴾		
21	طه	﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾	12	81
22	طه	﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾	13	81
23	الفرقان	﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾	63	48
24	القصص	﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ	28-20	88

		﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾﴾		
25	الشورى	﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴿١٦﴾﴾	16	21
26	الزخرف	﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾	58	59
27	الحجرات	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾﴾	12	41
28	المجادلة	﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾	1	47
29	الجمعة	﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾	3-2	17
30	الانفطار	﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾﴾	14-13	55
31	الليل	﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾﴾	10-5	57

فهـــرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات:

موضوعات

الصفحة

كلمة شكر.
الإهداء .
المقدمة.....أ
المدخل:الإرهاصات الأولية لنظرية الحجاج.....1
أ – نماذج للحجاج عند علماء الغرب قديما 2
1- الحجاج عن السوفسطائيين 2
2- الحجاج عند أفلاطون. 4
3- أرسطوا والحجاج. 6
ب- الحجاج في الفكر الألسني الغربي الحديث 8
1 – الجحاج عند بير لمان. 8
2- الحجاج عند ديكروا أزفالد. 10
ج- الحجاج في الفكر العربي القديم 11
1- الحجاج عند ابن وهب. 11
2- الحجاج عند القرطاجني. 12
3- الحجاج عند الجاحظ. 13
د- الحجاج في الفكر الغربي الحديث 15
1- الحجاج عند طه عبد الرحمن 15
2- الحجاج عند محمد العمري 16
و- قبسات حجاجية في القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبوية والنَّحو العربي 17
1- الحجاج في القرآن الكريم 17

2 - الحجاج في الحديث الشريف (السنة النبوية). 17
3 - الحجاج في النَّحو العربي 18
الفصل الأول:الحجاج مقاربة نظرية.....20
المبحث الأول:الحجاج لغة واصطلاحا.....21-22
المبحث الثاني:خصائص الحجاج،وأهميته ،وأهدافه،وأدواته.....24
المبحث الثالث:آليات الحجاج.....42
المبحث الرابع:طرقه وأصنافه.....49
الفصل الثاني:نماذج تطبيقية لآليات الحجاج وروابطه في القرآن الكريم.....58
الخاتمة..... 94
قائمة المصادر والمراجع.....99
فهرس الآيات.....107
فهرس الموضوعات.....116